وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

حكايات حاراتٍ شامية

سناء فوزي الموالدي

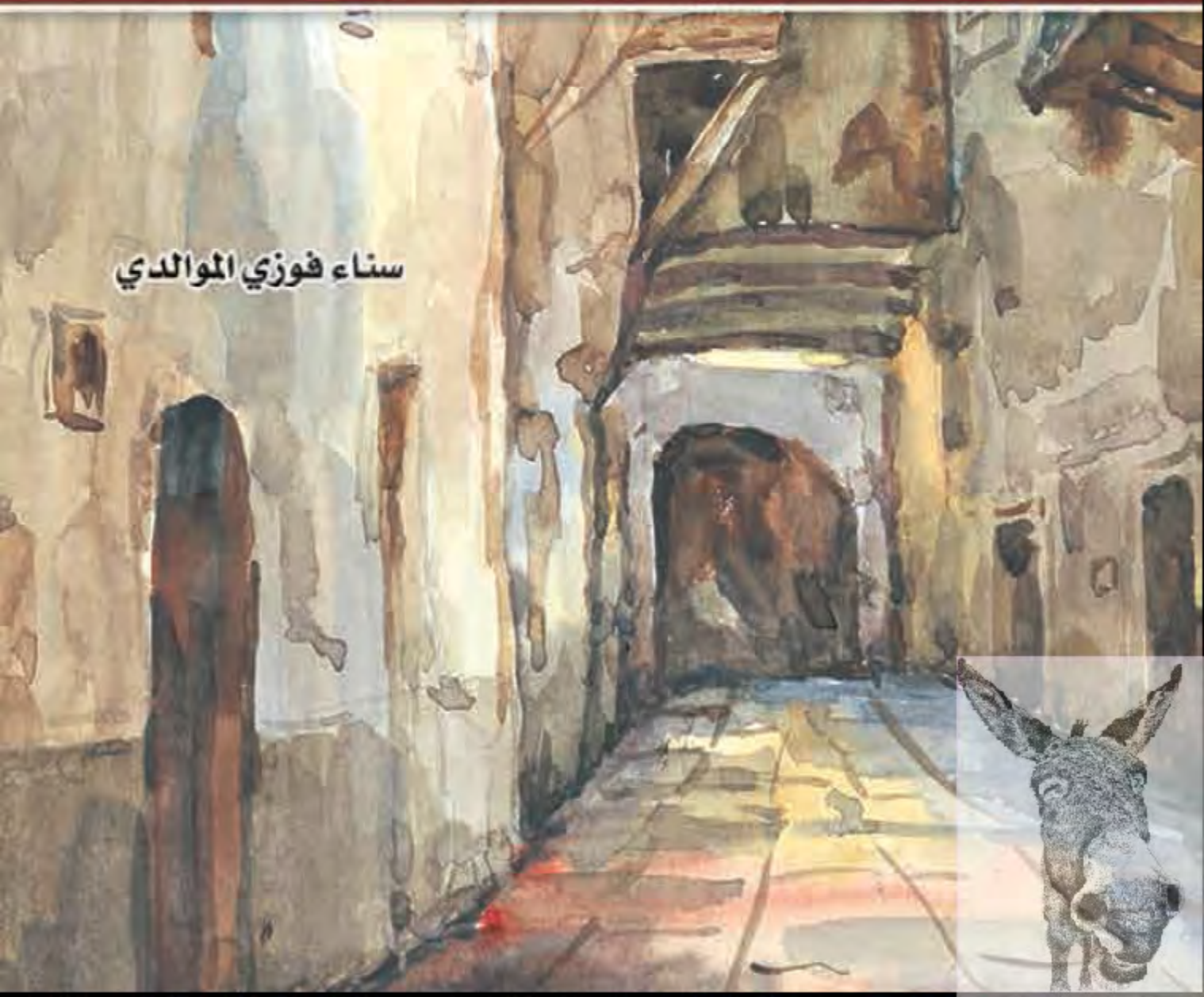

حكايات حارات شامية

الإهداء

أهدي هذا الكتاب..
إلى أمي الحنون
وإخوتي الأفاضل
وأفلاذ كبدي أبنائي الأربعة
وصديقاتي المخلصات

وأخص بالإهداء..
إلى حافزي الأول.. صهري المهندس ممدوح إبراهيم صباغ

وأحلى إهداء
إلى زوجي الحبيب

المقدمة

بداية احترامي وسعادتي لكل قارىء تواضع فقرأ كتابي هذا وقبل أن أفصل فحوى كتابي اسمحوا لي أن أتغنى قليلاً بالشام، كنت أذكر أن والدتي كانت تقول لي إن البلدية كانت تنظف الأنهر بين الصيف والشتاء استعداداً لاستقبال مياه الأمطار.

وإن خيرات الشام تتجلى بمياهها العذبة،وفعلاً ما أطيب مياه الشام، وخاصة عندما أشطف أرض الدار، أشتهيها وأشرب من البربيش «أي الخرطوم» ذاك الطعم الرائع المنعش، لا أخفيك عزيزي القارىء أنه جدير بالتغني به. ولا أكتفي بذلك !

فإن دراستي في كلية الفنون الجميلة أتاحت لي المجال للتعرف على معظم حارات الشام وطرق العمارة القديمة الأثرية الموجودة بها، وجمال تصميمها. وكما هو معروف فإن دمشق هي أقدم المدن التاريخية العامرة على الإطلاق.

فكنا نرسم الحارات والأقواس الموجودة بها. وأبواب دمشق المشهورة. فمثلاً كانت أسقف بعض الحارات قليلة الارتفاع، ومنها المنخفض جداً إذ يجعلنا ننحني عند المشي تحته، كما الحارة التي تتقدم بيت جدي في المناخلية.

وكان استناده على أعمدة خشبية ثخينة بالعرض وتعرفت أيضاً على الخص.

فأنا من العمارة دفاقة، المجاورة لباب البريد والمتاخلية، وكانت معظم حاراتها ضيقة جداً، تكاد نوافذها أي الخص يلتصق بعضها ببعض، وهو عبارة عن نافذة لها بروز أمامي من الخشب القش المبروم، وشباكها يرتفع للأعلى أو يُدفع باليد للأمام.

وكانت معظم بيوت الشام، كما هو معروف، وحتى بيت العائلة، أي بيت جدي، تحفل بشجر معين ومعروف مثل الكباد والفراسكين والنارنج والرمان، إلى جانب البحرة التي تتوسط أرض الدار، وتوجد الياسمينة البلدية وإلى جانب الجدار تُعرش الياسمينة العراقلية.

وعلى دار البحرة توجد شتلات من نبات العطرة والخبيزة والسجادة ولسان الحماية... إلخ والغرف تصطف وحول فناء الدار.

فغرفة الجلوس اسمها المربّع لها عتبة كبيرة ثم تصعد على أرض المربع، وكان بصدر المربع فتحة في الجدار عريضة كأنها خزانة، لوضع اللحف والشراشف والسجاد اسمها «اليوك».

وغرفة استقبال الضيوف اسمها الليوان «الإيوان» وهناك غرفة للطعام اسمها الصالة، قريبة من المطبخ، وفي كل مطبخ يوجد نملية وهي خزانة لحفظ الطعام بابها من المنخل «الشبك» حتى يتنفس الطعام ويحمى من الحشرات، ويعلق في أرض الدار في الوسط طبق كبير من القش يرتفع حتى لا تصل إليه القطط، أو الحشرات الزاحفة يوضع عليه الطعام، والقصد من ارتفاعه تحت القمر ليحتفظ ببرودته ويحفظ الطبخ، واسمه «الكبك».

وعند صعودك إلى الطابق الأعلى على الدرج يوجد غرفة في منتصف الدرج اسمها «النصيّة» لها سقف منخفض الارتفاع لوضع الأغراض اللازمة، وكان درج بيت جدي من الحجر الخفان الأسود. وتحت الدرج يوجد درج إلى القبو غرفة المونة، وغرف النوم في الطابق الأعلى تحيط بها «المشرفة» أي شرفات متصلة. وفي أعلى غرفة يكون بداخلها باب خشبي يُفتح به درج خشبي اسمه درج الطيارة. يوصل إلى سطح البيت. وعند دخولك قوس المناخلية يوجد سوق الحدادين المختص بالخرداوات والمفاتيح وأنابيب الماء من اللحم وقاطع.. إلخ. وخلفه مباشرة العصرونية، وهو سوق للأدوات المنزلية.

ويتوسط الجامع الأموي بين العصرونية والبزورية، والبزورية سوق للمواد الغذائية والبهارات والسكاكر والملبس. وبصدر البزورية يوجد قصر العظم المتحف الفخم الذي يرتاده السياح يومياً. وهو تحفة معمارية أثرية لا مثيل لها.

وتجاه الجامع الأموي غرباً توجد المسكية، سوق تباع فيه الكتب، وخاصة الكتب الدينية ومستلزمات الحج والعمرة. والى جانبها عند الباب الجنوبي للجامع الأموي سوق القباقبية، وتقع منطقة الدقاقين جنوبي البزورية، وهي مدخل حي الشاغور العريق، ويفصلهما عن بعضهما سوق مدحة باشا (وقد يسمى السوق الطويل)، وعلى جوانب هذا السوق حارات بها خانات قديمة لبيع الأقمشة وأدوات الخياطة.

ثم يأتي غرباً حيًّا سيدي عامود ودرب الوزير اللذان دمرتهما المدفعية الفرنسية أثناء احتلال الفرنسيين لسورية، وبنيت على أنقاضهما الحريقة. وإلى الشمال من الحريقة يمتد سوق الحمدية أشهر أسواق دمشق وقد سقفه مع أسواق دمشق الأخرى والي دمشق حسين ناظم باشا. وتقع قلعة دمشق إلى جانبه الأيسر. وتقع في آخر سوق مدحة باشا القشلة التي تمتد حاراتها إلى باب توما.

وفي هذه المنطقة توجد حمامات متعددة، فمثلاً في البزورية يقع حمام نور الدين الشهيد وحمام الملك الظاهر وحمام النوفرة.. ويرتاد هذه الحمامات السياح. وأكثر البيوت الأثرية الموجودة بين القشلة وباب توما تحولت اليوم إلى مطاعم تكتظ بالسياح العرب والأجانب.

لقد تعددت حارات الشام وأبوابها وبيوتها وعائلاتها العريقة، وكانت وما زالت لهم عادات وتقاليد راسخة إلى الآن وقد حافظ عليها أهالي الشام. وأنا أعتز بها كثيراً فمثلاً في رمضان المسحر أبو طبلة، وفي العيد التهاليل والتكبير وصلاة العيد في الجوامع صباحاً.

صدقوني كنت لا أشعر بأن العيد أتى إلا عندما أصحو على تلك التهاليل، ودون أن أشعر ورَّثتُ أولادي هذه العادة، وعندما أشمُّ رائحة الفول النابت الذي تسلقه والدتي في الصباح ورائحة القهوة المرة التي يغليها أبي في الصباح وانتظار استقبال عمي رياض رحمه الله صباحاً باكراً، يقدم لعندنا ومعايدتنا وخروجه مع والدي لزيارة القبور ومعايدة الأهل، وضيافة المعمول بفستق والتويتات بجوز والناطف. وأيضاً هناك العرس الشامي والعراضات وأغاني العراضات المميزة «صلوا على محمد، مكحول العين...».

صدقوني كنت أحفظها عن ظهر قلب.

وهناك شيء مميز بالشام، كثير من الأكلات نأكلها بمناسبة معينة، فكنت حينما آكل منها أتذكر مناسبتها، فمثلاً: الملبَّس في عيد المولد النبوي، أتذكر البزورية المزينة وضيافة الملبس في الطريق من المحلات تحية لعيد المولد النبوي. المحلاية أو كشك الفقراء يُذكرنا بالعرس والزيجة الشامية. فمثلاً أول مُحرم نبيِّض الطعام، أي تطبخ أمي الشاكرية والرز بحليب. أما الحبوب فيقدم عند مشي الطفل.

السنونية أيضاً قمح مسلوق مع السكر، يقدم عندما يظهر أول سن للطفل واسمها سليقة.

وكانت جدتي أم فوزي رحمها الله تعمل لنا الزنكل، وهو شبيه بالعوامة، تخلط الخلطة على حافة البحرة وتقليها وتُغطسها بالقطر، ونحن نركض حول البحرة فرحين بأكلة الزنكل، وفي أقدامنا القبقاب نطرق على الأرض به.

هناك ذكريات رائعة، فكيف لي أن أنسى الشام ولا أتمتع بها. فهناك الكثير الكثير في

جُعبتي للتغني بالشام وحاراتها وأهلها وتقاليدها وتراثها ورائحة ترابها المبلل عند نزول أول مطرة على أرضها.

والعلاقات بين أهلها مثل إغاثة الملهوف ومساعدة الناس لبعضهم والمروءة الموجودة بين أهلها.

سؤال الجار عن جاره دائماً ومشاركته في كل شيء، فما أحلاكِ يا شام.

فحبي للشام ولأهلها ليس فقط دفعني لأتغنى بها، وإنما أحببتَ أن أكتب ما أحفظ من الحكايات القديمة المحكية في سهراتها، والتي كانت تسردها جدتي لنا أو بعض المعمرين، وأود أن أنوِّه بأنني كتبت هذه الحكايات بالعامية أي باللهجة المحكية والمحلية وخصصت بها أهل الشام.

وأتمنى أن تكون ألفاظها مفهومة بهذه الطريقة أي طريقة السجع يعني وحدة القافية. فأنا أخص بالشكر كل من روى لي بعض الحكايات مثل جدتي أم فوزي آمنة ياسين الصباغ وعمتي أم أيمن ووالدتي أم ياسر وصديقتي أم غسان.

مثل الدهليز الذي كانت تحفظه النساء ويحكينه، والحكايات عبارة عن قصص قصيرة.

وهي سهلة وسلسة مشوقة تشد القارىء. وكما قلت هي قصص قديمة مما سمعت من الشخصيات المعمرة.

وهي تحمل روح الدُعابة، منها الكوميدي والهزلي ومنها الجاد، وبها مواعظ وحكم وعِبَر.

واضطررت أحياناً أن أكتب بعض الألفاظ مخالفة للإملاء باللغة العربية لضرورة السرد

أي كتبتها كما تقال وتُحكى لضرورة فهمها.

مثل أخدلو أي أخذ له. المرا أي المرأة. هلأ أي الآن. لأنها تُحكى بالعامية هكذا.

وكان هدف سردي لتلكَ الحكايات على هذا النحو بالعامية وطريقة السجع لتعطيها جمالية وتشويقاً وتسلية بقراءتها. وهناك فهرس للحكايات.

وفي أسفل الصفحة هوامش لشرح المفردات من العامية إلى الفصحى أو معنى الكلمات القديمة غير المعروفة، مثل ساكو أي مانطو.

وأريد أن ألفت نظركم إلى أن أسماء الشخصيات الموجودة في الكتاب ليست حقيقية.

وأشكر لكل من ساهم معي بهذا العمل ما بذله من جهد.

حبي لكم.

سناء فوزي الموالدي

الراوي

أنا الراوي يا سادة يا كرام
اسمي أبو مستو النعسان
الجنيناتي إلّي حارس ها لحديقة طول حياتي
وما بشوف مرتي إلا بمناماتي
ويوم من الأيام عند شقوق الضو
خلص دوامي بالحراسة وكان بارد الجو
وقمت لآتيسر على بيتي
سمعت دعسات رجّل ناحيتي
ركضت وتخبيت أفا،١، شجرة الورد
لقيت حرمة قعدت عالكرسي
وعم تحاكي حالها وجهها عم ينسّي
وبعد شوي وحدة لخرى
وبعدها وحدة لصارو سبع نسوان بالأحرى

وضليت لاطي وبسماعهم أنا ماضي
لشوف شو جمَّع هالنسوان بهالمكان الفاضي
لقيتهم اجتمعوا واتعرفوا على بعضهم البعض
وقعدوا يحكوا قصصهم بالطول والعرض
وأنا سمعت قصصهم ورح أسردها لكم مثل الحكواتي ديب النشواتي
رح أحكي لكم حكاية السبع مطلقات
إلّي اجتمعوا على كراسي الجنينة خمسة الصبح يوم الاثنين إلّي فاتْ وكل وحدة تحكي حكايتها وفشلها
وتسب وتدعي ع اللي كان سببها.

«١» أفا: وراء

بياع الصابون

١-٧

أوّل وحدة كان اسمها درية المزريّة
كان جوزها بياع صابون..
وكان يحب مرتو تكون منفوخة مثل البالون..
وكانت تاكل سبع وجبات.. ومن المي تشرب كالون
ويوم من الأيام أجا ع البيت تعبان
وقال لها يا درية.. تعالي لعندي بسرعة وخفّيّة..
لأبحث معك هالقضية
قالت لو شو بدك تقبر أمك..
هي أجيت.. هات بوسة من تمك
قال لها عدي وتلملمي.. وارخي توبك وتستري
واسمعي شو بدي قولّ لِك
حتى ما ألحشك وملّك
أنا جبت من الدكان طون من الصابون..
لحتى نخبيهن بالعلّية.. ووقت الموسم بيعُنّ بسعر مجنون
قالت لو: مثل ما بتأمر يا سندي يا حنون.
وبالصبح راح هالرجّال على شغلو..
وكان ماشي على مهلو
وعم يفكر بتجارتو وربحو ومالو
وكان محلو بالبزورية
وبيتو قريب من المناخلية
ومرتو الجدبة.. إلي كانت من حارة الحدبة
فكرت تفيد جوزها
فوقعت على بوزها
راحت قلعت بلاط الدار، وبلطت بدالو هالصابون..
ورشّت عليه شوية معجون
وشطفت هالبيت بالمي..
وبلّشتّ تقشط وتقول: حَيّ
ويرغي هالصابون
وهيّ تقول: إي العمى شو هدا مثل الجنون
وما كانت تخلص من الشطف ودَلّق المي..

ورح تجيها جلطة بعد شوي
وأجا هالرّجّال ع الدار..
وأول ما فات من باب الدار..
تزحلق وانفسخ مثل ما بيقع الحمار
وانكسر ضهرو وانسلخ سفلو
ودوحس كعب رجلو
وعلى هالعَمْلة تبع مرتو الغبيّة قال لها: إنتِ طالق بالتلاتة يا درية
انقلعي من البيت أحسن ما أعمل لك قضية..
وساويكي دهنة مشوية.. وأسْليكي مثل الليّة
فاندارت هالحرمة على هالنسوان إلي قاعدين مثل الحزمة
وقالت لهن: شو رأيكن بجوزي الظالم؟!
إلّي كنت من قتلتو أنا عم قاوم
وبدل ما يكافئني.. كان راح يخنقني
وهربت وتركت البيت.. مع أني كنت ناوية بلّطْ لو الحيط
هَيْ قصتي يا رفقات الهنا.. قولوا لي شوبدّي أعمل أنا؟

٢-٧ بياع الدهنة

والتانية عيونها صغيرة.. وكان اسمها زهرية
ودوم الدوم.. بتحب النوم
وكان جوزها صاحب مهنة.. وبالإيمرية بياع دهنة
يعني دهنة خوريف وبقر وجاج، يعني بالجملة.. وريحتو دوم فايحة
وما عاد فَرَّقْ بين الريحة الطيبة والريحة الطالحة
ومرتو طبخها طعمتو دوم مالحة
ويوم أجا ع بيتو بكير..
وقالْ لها: براسي في فكرة بدها تدبير
بدّي خبّي ببيت المونة كوم دهنة..
وسكّر عليهن هالكانونة.. لأني سمعت بدها تنفقد السمنة
ووقت الحاجة منسَّلي هالدهنة
سمعتِ يا زهرية يا سمجة؟
وتاني يوم راح على شغلو بطلوع الضو متل عادتو، ليفتح محلوويتسبَّبْ ويبيع دهناتو
وكان ملأ هالكانونة.. بالدهنة المبرومة
وأجت مرتو زهرية.. هالغبية
فكرها عم تعمل منيحة.. هالقبيحة
ففتقت وجوه المخدات والفرشات..
وحشت الدهنات بدل القطنات والصوفات
وقالت لنفسا: هلأ بيجي جوزي بينام..
كأنو على ريش نعام
ومضت بضعة أيام.. وجوزا عم ينام
ويحلم بأحلى الأحلام
حتى دوَّدِتْ هالدهنة
ونبَّتِتْ راسها هالدودة من هالقرنة
وقرصت جوزها من منخيرو، يا تعتيرو
وقام من هالشوفة مرعوب.. ومن لسانو مسحوب
وفتأ هالمخدات وشاف هديك الشوفة بالفرشات..
وولول ولولة.. على مرتو المخبَّلة
وقال لها: روحي وأنتِ طالق بالتلاتة يا مدللة
قالتْ لُن: شايفين يا نسوان؟ أنا عم أسأل على راحتو

وهو قلَّعني من ساحتو
وخبطني بالصرامي، ورماني من الباب التاني
يا حوينِتْ التعبْ.. والتفتيق والقطبْ
وهيك هربت وزحفت من بيتو زحف
مع أني كنت ناوية أحشي لو اللحف.

٣-٧

رمضان

التالتة كان اسمها خيرية العمشا
عيونها كبار وبتغمز جوزا برمشا
صحيح هي فكحى.. بس نفسا مرحة
وإيدا فاروطية.. لأنها نزَّلِتْ جوزها من العلّية
وجوزها أبو ذراع.. بالأكل والشرب بيَّاع
عندو بقالية.. جنب مقام ستنا رقية
مع أنو بيتو بالعصرونية.. وبيت أهلو بالدرويشية
ولأنو شغلو بالسمانة.. عايش بالأمانة
حتى ما تصيبو الندامة
وبيحسب عيشتو لقدام.. حتى يعيش بسلام
ويحسبها ع التمام..
ويوم رجع من الدكان ع البيت هالأبو ذراع..
إليّ كان اسمو عدنان..
وقال لها لمرتو: اسمعي يا مرا: بعد شوي بدو يجي رمضان.
ولازم نحسب عيشتنا لقدام
لأنو رمضان بدّو مصروف كتير رغم أنو جَيْتو حلوة يا سلام
وحتى ما نهْكَلْ هم ونشوف منامات وحشة وقت متَّام
رح عبِّي هالكتبية.. بالمونة الهنية
حتى ما ينقص شي لرمضان
وجاب شوالات من كل صنف أشكال وألوان
وقال لها: ذكِّريني بالدبس رمان والبهارات والعصفر والريحان
والجبنة المستَّرة والزيتون والمكدوس واللبنة المكورة
وراح على دكانو مرتاح البال..
ماشي وعم يلءْ بها لشروال
وبعد كم يوم بالصدفة اندق الباب ضحوة النهار
ونادى يا ستار
والمرا بالبيت لوحدا.. عم تشطف وإيدا على خصرا
قالت: مين؟ قالْ لها: افتحي ياأختي يا أم المؤمنين
فتِحتْ هالباب وقالت: مين جاية لعندي؟
قال لها يا أختي أنا شحاد.. وعلى الله رزقي وبختي

قالت لو: شو اسمك يا أخي؟
قال لها: رمضان، وكان بالصدفة اسمو هيك هالفلان
بس حظو كان رنّان.. من ها لجدبة إلّي جوزا ح يبات زعلان
قالتْ لو: إيه استنّى، جوزي آيملك هالمونة
فوت وخدها بالكثّبيّة جنب الكانونة
فات الشحاد.. ومن الفرحة طارت فيه هالبلاد
وأخد هالمونة كلها..
وما حس ولا تعب بجرها وحملها
وراح بحال سبيلو.. مع أنو احتار دليلو
وإجا جوزا بها لليل..
مبسوط ومطروب وعم يغني يا عين يا ليل
قالت لو مرتو: ما دريت يا عدنان؟
أجا الشحاد رمضان
وعطيتو بيت المونة كلو بالكمال والتمام
متل ما أمرتني يا جوزي من زمان
قالْ لها: ألله لا يأشعِكْ خير على ها لعملة !
وينتقم منك يا دبة يا بغلة
روحي وإنت طالقة بالتلاتة
ويلعن أمّكْ على أبوكِ، إلّي بداري حطُّوكِ
والتفتت على رفقاتها البهم
قالتْ لُن: شايفين يا أخواتي بالهَمّ
كيف قلعني وطلقني.. وسب أهلي وما كان بوشُّو نقطة دم
لك أنا والله نفذت أمرو..
ليش قولكُنْ ح يموت من قهرو؟!

هبْلةْ الشخاخة

٤-٧

والرابعة كان اسمها بهيرة
وكانت لفَّاية لوحدة وزيرة
تجوزا واحد جربان
اسمو خليل الكحيان
وكان أجير خياط بالدكان
إلي كانت جنب الشيخ رسلان
وهالبهيرة.. كانت حقيرة
وأكْحَتْ منو بزمان
وكانت فصعا.. وما بتقدر تقعد بمطرحها
رغم أنها كانت باردة وسعآنة
وبتحكي على فلانة وعلانة
وأجا جوزا يوم من الأيام ومدحها
وقال لها: يا جميلة العصر والأوان..
اسمعيني شو بدي قولْ لك كمان
بكرة بدي أعمل وليمة لمعلمي ومرتو نديمة
وبدي تبيّضي لي وشّي.. حتى تضلّ أبلانتِكْ نفسي
وبدي تطبخي شي طبخة زَفَرْ..
يعني غدوة ظريفة بالمختصرْ
وراح جوزها هالمعتر تعتير
وهي قامت من على بكرة بكير
وكانت الدنيا شتا وبرد..
والمطر متشتشة الأرض
قطعت هالخضرة.. وهاللحمة زنتها بالطنجرة
وقالت لنفسا: قومي اشعلي النار يا معترة
لتطبخي الأكل وتجهزي المنضرة
فأجتها الشخاخة، بعد النوم والراحة
فقالت لنفسا: ليش التبذير والاستهتار
رحْ أطبخ الأكل على هبلة شخاختي أحسن ما أشعل النار
لأنو معلومكن بالبرد بيطلع هبلة للشخاخة
وخاصة إذا كانت شوي شوي وبالراحة

وحطّتْ هالطبخة ع الهبلة
وكل فكرها رح يستوي الطبخ هالجدبة
من كتر ما لها كحتة وجلدة
وأجا جوزها ومعو الضيوف
ونزّلْ الصحون من ع الرفوف
وكل شوي ينادي لها ويقولْ لها: شو صار بالأكل يا مرا؟
الضيوف جاعوا ورح يقلبوا لورا
وهيِّ لحكيو ما عم تردّ.. وما عم تحكي وما عم تصدّ
وراح ليشوف مرتو
أحسن ما ينبَحّ حلقو وتتبرم شفتو
وشاف هديك الشوفة
ومن دهشتو اتزحلق بالبرطوشة
وانكسرت إيدو ورجلو.. وما عاد يقدر يقوم من سفلو
ومن فعلة مرتو هالغبية..
حلف عليها الطلاق وزتّها بالبرية
بعد ما خبطها بإيد الهاون والزبدية
وقالت لنسوان الحديقة: يبعت حمَّى لحظي
شو عملت لربي حتى هيك يكون آخر دربي؟
وجوزي هالنمام أخذني لحم ورماني عضام.

المعزاية

٥-٧

والخامسة اسمها ديبة الحيرانة
وهي بتضل على جوزها غيرانة
وروح قلبا تاكل عوَّامة
مع أنها من عيشتها زعلانة
وبتنقّ وبتسقّ ع المنيح والقبيح
وجوزا أبو كاعود.. كل شي ببيتو مفقود
وهوِّ بيشتغل محتال..ومن صغرو وهو على هالحال
بس عندو غنمة بالبيتْ..ورتها عن أبوه هيِّ وجرة زيتْ
بيشرب من حليب هالغنمة..وما بدو يذبحها، وتاركها لشي أزمة
وهالمعزاية أحسن من مرتو النعيانة
لأنو مرتو موعاجبها هالحالة
وبتضل تحسد فلانة وعلتانة
وبتفكر حالها جميلة الجميلات..
وبتغار منها حتى الأميرات
بتضل بتسقّ وبتنقّ..وبحناكها بتلقّ
ويوم من الأيام..انعزمت على عرس بنت خالتها إلهام
وصارت تسح وتنح وتبكي.. وتقول بدي وما عندي
ويقول لها جوزها: طولي بالك يا مرا.. يعني شو يلي جرا؟
روحي متل ما إنتِ
وهي عم بتقلو: إي كولْ هوا
بتجيني كل يوم إيد من قدام وإيد من ورا
قالْ لها جوزا: شو بدك لتسعدي؟
قالتْ لو: استعر لي الطوق اللولو من جارنا أبو سعدي
لروح فيه ع العرس واتصدَّرْ بمقعدي
وغير هيك ما لي قعدة عندك يا مسعدي
وسمع كلامها ها لرجَّال..
واستعار لا هالطوق حتى يريِّح هالبال
وقالْ لها: انتبهي عليه.. لأنو حقو ألف جنيه
وأول ما بترجعي.. بدي ردو لجاري حتى ما يقلق مضجعي
قالتْ لو: لا يهمَّكْ.. ولا توصِّيني ولا تتعب بالحكي تمك

وراح هالرجّال على شغلو بالزوقْ.. بس فكرو مشغول بالطوقْ
وقامت مرتو تلبس وتتغندر.. وتحط زيت على وشا«١» وبالتياب تتبختر
وسرِّحِتْ شعْرا المزرَّد بالمشطْ..
قام إجت المعزاية وكانت فاكة حالها من الربطْ
وقالت لها: ماع.. ماع.
قام إجت ديبة الجدبة وقالتْ لا: شو غرتِ مني يا حدبة؟
تعالي لسرح لك شعرك.. ولو عندي ديك لأدبحْ لك
وفرَّتْ ع المراية لتحطّ الحمرة.. ديبة أم الغرَّة
فمعَّتْ المعزاية: ماع.. ماع
فقالتْ لها: ولي شو بتغاري.. أكتر من أبو كاعود حماري
تعي لأدهنكْ بالحمرة، لحتى تطلعي متل المهرة
وقامت هالحرمة لتحط طوق العيرة
حتى النسوان تموت منها غيرة
فسمعت المعزاية عم تمعّي لها: ماع.. ماع
قالت لها: لهون وصَّلْ معك الحال؟
بدك تشلّحيني الطوق كمان؟ هذا والله محال
ردَّتْ المعزاية وقالت لها: ماع.. ماع
فانهزْ بدنها هالديبة من معزايتها هاللئيمة
وشلحتْ الطوق.. ولبَّستو لمعزايتها بالزوق
وقالت لها: روحي ع العرس بدالي.. وخليكي عم تمعّي وتلالي
وفتحت لها باب الدار.. وقلّعتها بالحال
وقعدت زعلانة وحزينة على إلّي جرى معها هالفيلة
وعلى يلي عملتو معها معزايتها السئيلة
وأجا جوزها ع الدار
وقالْ لها: شبِكْ يا حرمة عم تبكي، وتشنهقي متل الحمار؟
وليش لهلأ ما رحتِ ع العرس؟!
هلأ بسيبقوكِ بأكل المحلاّية والدبس
مع إنكْ كنتِ من الفرحة عم ترقصي رقص
قالت لو: غارت مني هالمعزاية
وقعدت بدالي ع الكنباية

لبَّستا الطوق والزربول، وبعتّها بدالي على طول
فقالْ لها جوزا: يمسخ قدرك، ويكسر إيدك ورجلك
أنا ما بفهم إلّي عملت هالشي لأجلك
لكْ مو لابق إلا للشلابق
ولحناكك العوج.. لقّةْ بابوج
روحي لبيت أهلك.. إنت طالق
واتركيني بهالمصيبة عالق
وهيك هَرَبْتْ للحديقة..
وأنا عم أسألكن: شو هَيْ غلطتي بالحقيقة؟!

١٠» وشا: أي وجهها

طبخة السجقات

٦-٧

أما السادسة فكان اسمها فخرية السايسة
كانت شغلتها تطعّمي الدواب وتنظفها
وتمسح البايكة وتشطفها
وكانت فخرية كبيرة بالعمر.. تجوزت بعد طول صبر
وما كان ينبسط منها أفنديها.. ولو شلحت أواعيها
صحيح هي هرشة«١».. بس كانت نغشة
وقت على جوزها بتدلَّعْ.. متل الباب لما بيتخلَّعْ
وهي أصلها فلاَّحة.. ودوم الدوم بجيبتها نص تفاحة
وجوزها عتريس.. كل يوم بحب يلاعبها برجيس..
وخاصة يوم الخميس
وكان جوزها ابن ناس.. بيشتغل حكواتي بقهوة النوفرة، بس كان دساس
ويوم من الأيام.. شاف أبوه بالمنام
فكان بدُّو على روح أبوه ياكل سجقات وحفاتي..
من عند اللحام نجاتي
وتاني يوم دقُّو الحماس.. وراح اشترى قشة بلا راس
وعزم عليها ناس مهمِّين.. وجهاء حارة بعربين..
وكم زلمة من تل منين
وقالْ لمرتو: يا مرتي، يا مزينة فرشتي
اطبخي السجقات بس اقتصدي باللحمات..
لأنو جاية المعازيم بعد ساعات..
قالتْ لو: إيه مو على عيني.. حيكون الأكل جاهز بلحظات
وراح هالرجَّال ع القهوة..
ليحكي للناس متل العادة شي حكوة
وقالت فخرية لنفسا: أحسن ما أحشي هالسجقات برز ولحمة
بحشيهن شرطيط وشوية دهنة
وكان عندها بالبيت شرطيط وكتكت
فقالت لنفسا: يوه.. يلِّي بدو ياكل ما لح بالسجقات ينكت
وقامت حشت هالسجقات والحفاتي وطبخت هالطبخة
ومدت رجليها وقعدت بمطرحها..
وأجو هالمَعَزيم.. وجوزها على راسهم زعيم

ومدوا هالسفرة.. واشتغلوا بتجهيزها سخرة
وبلَّشوا ياكلوا.. ويشدُّوا ويمطُّوا
وما عم تنقطع هالسجقات.. وهنّ عم يقولوا خود وهات
هدا إلي انكسر ضرسو.. وهدا إلي تخونق«٢» بحلقو
ولما اكتشفوا أنو الحشوة شرطيط وكتكت
رموا الأكل بوجه جوزها واتهموه بالكحتت
وسبوه وبهدلوه.. وعلى هالعزيمة لعنوا أمه على أبوه
وقام هالرجال لفخرية.. وخبطها بالنونية
وربطها بالسجقات ربطة قوية
ونزل فيها ضرب وسفّ ء وين بيوجعك يا فخرية المزرية؟
وقال لها: إنت طالق بالثلاثة يا نورية
وهي قالتْ لهن: شايفين يانسوان يا أخواتي بالبلية.
عملت منيح وزتّيت بالبير
وجوزي هالظالم هبَّرني تهبير.. وزتني بالبير..
وشو إعمل أنا هلأ بهالتعتير؟!

«٢» تخونق: أي اختنق.

٧-٧ طبخة السبانخ

والسابعة من بيت الضبعة
واسمها فهمية الضبعة
وكانت سمينة متل الفيلة
وجوزها اسمو أبو حديد وكان سعآن وبليد
بيشتغل كندرجي ناح باب بريد
وكان شاطر بترقيع الصرامي
وبالحارة ما لو حدا تاني
بس ببيتو ما بدق بسمار..
ولا يصلّح دكة ولا زنار
متل ما بيقول المتل: السكافي حافي والحايك عريان
ويوم من الأيام.. كان راسو صافي تمام
جاب لمرتو رزمة سبانخ.. وقالّ لها: اطبخيها ع الحارك
وبدي يا فهمية: تعملي منها أكلة شهية
شي بزيت وتوم.. بس لا تحطّي كمون
وشي بلحمة وسمنة.. ومعهن شوية دهنة
بس اغسلي السبانخ منيح.. ليروح منها الرمل بالصريح
وانتبهي ما يكون فيها نمل.. انقعيها بالسطل
وفات على مخدعو.. ونام وما في حدا معو
وقامت مرتو وقطعت السبانخات
وحطت عليهم اللحمات والسمنات والدهنات
فتذكرت أنها ما غسلت السبانخ
فكّرت وقالت لنفسا: رح حط معهن ملعقة دوا غسيل وشوية مي
وملعقة نيلة وحركهن شوي
وهيك بروحوا الرملات.. وبموتوا النملات
وطبخت هالأكل هالغبية.. وزيبقت الطبخة ومخطت تمخيط بالطنجرة
وعدمت هالأكلة.. وأكيد في إلها بعدها قتلة
ولما فاق جوزها أبو حديد..
قالت لو: تعال الأكل استوى أكيد
وبتلاقي الطبخة جاهزة يا سعدي يا مسعودي
وأطيب من هيك ما لح تلاقي يا محبوبي

وحطت هالسفرة متل المهرة
والرجَّال جوعان.. وأكل الطبخة ومالو حاسس وموعرفان
قال لها: الطبخة مالحة.. مو متل إلي ساويتيها مبارحة
قالت لو: إي حاجة توصفني بالطالحة
قل لي شي مرَّة: إني حرمة صالحة
ولسه ما خلَّص أكل.. إلا كركبت مصرينو
وصار يصرخ بالولي من يمينو
وأخدوه هالجيران ع الخستخانة«١»
وانغسلت مصرينو وصار يرغي الصابون لمنخيرو
ولولا لطف رب العباد.. لصار الرجَّال من عداد الأموات
ورجع ع البيت وعرف الرواية
شو عملت مرتو الفهمانة.. وقال لها: إنت طالق بالتلاتة..
ولطشها بشي كم صرماية
وقلعها برَّات البيت هالسهيانة
لحتى التقت بها لرفقة الجربانة
وقالت للنسوان: شايفين حظي شو عدمان؟
فوق ما نفذت طلبو لطشني بدنبو
مع إني كنت بالبيت أنا سندو
وشوفيها لو انغسلوا السبانخات بعد الطبخ أو قبلو
المهم نضفوا.. وموهيك كان طلبو؟
أما أنا الجنيناتي.. راحو من راسي عقلاتي
لأنو ما مرق على راسي هيك نسوان بحياتي
وقمتْ الهن بالمزربّة. وكأنها بإيدي حربة
ووين بيجعِكْ يا جدبة يا دبة
ونزّلت فيهم ضربْ
ليهربوا من هالدربْ
لَكْ، يخرب بيتهن وبيت بيتهن
وقال مفكرين حالهن مقهورين
وعم يسردوا
لبعضهن أنهن مظلومين

وقلَّعتهن من الحديقة من الباب الورَّاني
ولهلق عم حاكي حالي على فعلتهن
بس يا ويلي ويا ظلام ليلي
في عندي بالبيت أمَرّ منهن

«١» خستخانة: المشفى الحكومي

العباية

٨

كان يا مَكان من قديم الزمان، وسالف العصر والأوان
كان في تاجر مهمّ..
ماشي بسوق الحميدية وعم يتبختر ومالو مهتمّ
وكان من أغنياء البلدْ.. وعايش مبسوط من غير كمد
ولابس عباية مزركشة بالقصب..
ومرصوفة بالأحجار الكريمة إليّ كل حجر فيها ألو لقب
وكلها من خيوط الحرير المبرومة
وبجدايل الدهب مخيَّطة ومنظومة
ودايز كل حجر خيط فضة
مبروم ومحسوب بالنقطة
وحجار العباية من المرجان والياقوت
والناظر إلها بيجي ليموت
وفيها كمان لولو وزبرجد
والأكمام فيها قماش منجَّدْ
الخلاصة.. وصفها بالخيال
وملكْها والله محال
وعلى راسو حاطط عمامة
من قماش البروكار والحرير.. وفيها علامة
وهيّ حجر من الأحجار الكريمة
إلي بيجي عليها نظرو كأنو غنِمْ غنيمة
وهو ماشي هالرجَّال بالسوق كأنو أمير مالو مثال
لمح صبية وصف جمالها من وصف الخيال
وعيونها متل المها
ويمكن كان اسمها سها
وكانت حلوة.. وكأنها غزالة أو لبوة
ماشية كأنها عم تقول: يا أرض اشتدّي ما حدا قَدّي
ولافة عبايتها السودا من خصرها لراسا
وعم تتقصَّعْ بالمشي كأنو قفاها حرَّاسا
حلّيتْ بعينو هالرجَّال.. ولحقها بالحال.. وميلان عليها مال
وقال لها: ميلي عليَّ ميلي.. ريتك تسلمي لي

فردّتْ عليه وقالت: امشِ بدربك يا سئيل
يا لطيف شو ظلك تقيل
قال لها: يسعد صباحك يا قطة أفرنجية
ويا مسك وعنبرْ ويا خلقة إلهية
ومن جمالك ما شفت مثيل.. وريقي من تمي رح يسيل
اندارت عليه لتناولو بالكف بين عينيه
فلمحت العباية هالحربايه
فرَخِتْ إيدها متل السهيانة
وطار عقلها بالزركشة إلي عليها
وبحياتها عينا ما وقعت على مثيلها
فقالتْ لو: شو طلبك ومطلوبك
ليكون مفكرني محبوبك؟
قالْ لها: يا حلوة يا جميلة.. عملتِ مني شعلة بفتيلة
قالتْ لو: لكانْ الحقني لباب الدار
هنيك بنحكي شو عنا أسرار
ولحقها لوصل لمطرحْها
وقالتْ لو: شو بدَّك هلاْ مني
قال لها: بدي وصالِكْ وقربِكْ لها الفقير المتمنّي
فقالتْ لو: تعطيني العباية
وطلبكْ مني بتاخدو بدون زيادة
قالْ لها: موافق ولجوًّا أنا لاحقك
قالتْ لو: هات العباية بالأوّلْ
قبل عني ما تتحوَّلْ
شلح هالعباية وأعطاها للحربايه
أخذتها وزتتها بالبيت
ودارتْ لو خدّها وقالت لو: خود بوسة
على قد ما أعطيت
وما تحمَّلْ حالو هالجربان
نتر منها البوسة من خدها الدبلان
فقالتْ لو: بس يا حبَّاب.. وسكَّرِتْ بوشُّو الباب

وانسطل من هالموقف.. ومو كانْ هادا إلي كان بِريدْ
كان فكرو في المزيد
ودق عليها الباب وقالْ لها: ولي تركتيني هيك بها لحال
هذا والله محال
ورجع دق الباب بإيدو الحامية
فتحِتْ الباب، قالْ لها: عطيني العباية
يا هاتي بوسة تانية
قالتْ: نحنا ما منشحِّدْ عبايات
وروح من هون أحسن ما أندَهْ لك العسكر والسرايات
وترسِتْ الباب من تاني
ففكَّر الرجَّال كيف بدُّو يرجِّعْ هالعباية
ففوراً رجع ودقّ الباب
لأنو بتفكيرو في أسباب
وفتحتْ الباب وقالتْ: شو بدَّك يا حبَّاب
قال لها: زكاتك عطيني كاسة مي باردة
لطَفّي اللهيب إلي بقلبي رحْ يصيبْ
قالتْ: استنَّى شوي يا غريبْ
وجابت لو كاسة الميْ وعطتو ياها
ودارت الباب لورا
فشربْ المي والكاسة حملها وكسرها.. فشهقتْ ونقزتْ
فقالتْ لو: يكسر راسك وإيديك
ما بتعرف راسك من رجليك؟!
وترست الباب بوشو
بس هوِّ كان إلو هدف، وعقلو ما عم يغشُّو
وقف حدّ الباب.. ليستتَّا جوزا الحبَّاب
وأجا جوزا أبو دياب
فقالْ لو: شو عم تعمل جنب بيتي يا أبو الشباب؟
فقالْ لو الغريبْ: يا أخي أنا غريبْ
لقيت بيتكن من تمّ الحارة قريبْ
وعطشان وبدي أشرب

وطلبنا مي من عيلتكن.. لنشرب ونرتوي من بيتكن
قبل ما تجوا على مهلكن
فوقعِتْ مني الكاسة والله من دون قصدْ
وانكسرِتْ من دون عمدْ
فهيك عم نتعاقب من أهلكن بأخذ العباية تبعنا؟
هيك والله انظلمنا
فاعتذر منو أبو دياب وفات ع البيت
وأخد العباية المعلقة ع الحيط
وعطاها للغريبْ.. بكل اعتذار وترحيبْ
وراح صاحب العباية بطريقو.. وعبايتو رفيقو
بس إيد من ورا وإيد من قدام.. متل صبي الحمام

٩ حكاية خطبة

الداعية رشيدة.. أم رشيدْ
وأنا من بيت الحديدْ
وكنت أنا أكبر خياطة بالحارة
لأني عايشة بشطارة
ورغم عشرتي مع النسوان مالي ثرثارة
وعندي جارة اسمها فريدةْ
وكانتْ بتشتغلْ بباب السلام، مكيَّسة بالحمَّام
وجوزي عطار بالبزورية.. وألو هيبة قوية
واسمو حدُّو..
وخلَّفْ ولد وسمَّاه رشيد.. على اسم جدُّو..
وما كان حدا قدُّو
وعندو دكان بالشيخ رسلان
وكان جوز جارتي فريدة بيشتغل بالزبالة
وقلب شغلو.. وصار بالعتالة
لحتى تروح ريحتو ويحسِّنْ هالحالة
وكنا ساكنين جنب بعض.. أنا وفريدة وأم العبد
ويوم من الأيام
طلع برأس ابني.. بدُّو يتجوز ولو بالمنام
وقلتْ لجارتي: تروحي معي لأخطب شي بنت من حارتي؟
بس بدي ياها صغيرة وناعمة.. وأحلى من بنت خالتي
ولبستْ جارتي هالمأمّعة.. كندرتها هالملمَّعة
ولبستْ كنزتها الصوف.. إلي عليها سيلان ملفوف
وتحتها تنورا تريفيرا«١»، إلي جوزها بيموت عليها غيرة
وحطت حجابا المنكوس.. من كتر مو لاقطة فيه هون دبوس وهون دبوس
الخلاصة.. تمرَّتْ وتغندرتْ
والحمرا على شفتيرا مرَّرتْ
ونحنا بالطريق عم تحكي وتشوير
وقعت بالجورة.. إلى جنب شجرة الحورة
حملتها الرجال
وانكسر كعب كندرتها لأنو كان في بسمار

وبيت العروس كان بحرجلّة.. وأبوها بنادوا لو أبو بغلة
وقالوا لي العروس حلوة.. بس أمها بلوة
وابنك رايح فيها فطيس.. وبدو ياها ولو كانت بالكيسْ
هيك قالوا لي جيران الحيّ.. وقت دلقوا على راسي ميّ
وصلنا لبيت العروسْ.. ريتا نتعتنا التيوسْ
ولقينا الباب مخلّعْ.. ومن مكانو رح يطلعْ
دقينا الباب، قالوا لنا شدُّوا الساقطْ«٢»
بس انتبهوا ع اللاقطْ«٣»..
ودخلنا.. ويا ريتنا خرجنا
وعلى جنب الباب في كرسيين
ومدّينا رجلينا وقعدنا نحنا التنتين
وفاتت الأم إلي متل الدبة
ولحقتْها البنت إلي متل الذئبة
وشعرها منكوش نكش
كأنها حاطّة على راسها البيت والفرش
قلنا للأم: شو طلباتك؟ لحتى تجي لو
فقالت: بدنا العريس يكون رياضي.. وجيبو مو فاضي.. وما ألو ماضي..
قالت البنت: بدي ياه يجي لعندي كل يوم سبتْ
ويجيب لي كل يوم هدية.. ولو كانت سلة تين من البرية
ويكون خسّكارو تمام، وزيتو موخالص من زمان
وقالتْ الأم: بدي يكون مهرا أسوارة وطوق وفستان سهرة
وكل ما إجا لعندي إيدي يبوسْ..
وعلى سجادتي ما يدوسْ.. وما يندب عندي متل الجاموسْ
وقالتْ البنت: بدي ياه طويل ومهيوب..
وما فيُّو شي معيوب
وخلصْ بيتّا الكلام
ووافقنا على طلباتن، وقرينا الفاتحة بسلامْ
ورجعنا ع البيت كرْفتة، وادَّحكلنا ع الدرجْ دحكلة
بس ابني رايدْ ها لبنت متل ما بتعرفوا ومسطول فيها ومهبول بيها
وبعد يومين.. يا نور العين

رحنا لنفّصِلْ النقد.. وعم نستند على بعضنا البعض
وأبو العروسْ.. أتيس من التيوسْ
وكان سكران وقالب طينة.. يعني هالكعكة من هالعجينة
رحنا لعندُنْ لنشوف شو بدُّنْ، آم احزروا بقى سيدي شو طلبُن؟
بدن من البابوج للطربوشْ
ومن اللحمة حتى الفتوشْ
ومن الخبزة حتى المنقوش
واختلفنا بفصيلة النقدْ.. يمكن لأنُّو كان في برد
وأجا أبوها.. ومال عليّ وقال: كِيفكْ يا أم رشيد؟ وكيف الحال؟
بيجي العريسْ يوم الخميسْ
ومنكتب الكتاب ومنعلّي الجواب
ومنقبض النقد المصاري
وبسكّنو عندِكْ مو عند حدا تاني
أحسن ما يسكنوا بالبراري
ووافقنا بلا طول سيرة.. لحتى خلّصكُنْ من هالحيرة
ووصّلكُنْ للقفلة.. وصارت الحفلة
وضيفونا محلاية.. من عند أبو رشدي صرماية
إلي كانت أمه بالحارة لَفَّاية
وخالتو أم صبري الداية
ورقصِتْ بنت أختي هالفكحة
وابني شطّتْ ريالتو من الفرحة
وبالصبحية.. طعمونا فول بزيت قد الوقية
مع أنو لازم يذبحوا لنا ضحية.. أو خاروف بقرون قوية
وآخر المطاف..
أخدنا أكبر خازوق بالجوازة.. ومن مرتْ ابني ألطاف
وابني صار بجواتو يتعذَّبْ
يمكن أخد منها كُمّ مرتَّبْ
وقلت لو: يا بْنَيّي.. ولي على أمَّكْ
شو صار بسنانك وتمك؟
قالْ لي: دخيلك يا أمي.. أكلتني بلا ملح.. بالليل والعصر والصبح

طلِعْ شعرها عيرة..
وجسمها بلون النيلة..
وبزازها محشية
وعيونها تلزيق
ورموشها تركيب
وسنانها مكسَّرة
وألها حردبة يا أمي
بتنخزني فيها من خصري
ورجْلها مكسورة وإلها خشبة
وإيدها مخلوعة وبدالها حاطَّة حطبة
وسلسلة ضهرها مزحلقة. وبدالها مركبة رجل كَتْبة
وركبتها متل العتبة
قلتْ لها: وين إيدِك؟!
قالتْ: على ضهر الخزانة حاطتْها
قلتْ لها: وين رجلِك؟!
قالتْ: تحت التخت زاتتْها
قلتْ لها: وين عضمة عصعوصك؟!
قالتْ: عند أمي وادغْتا.
قلتْ لها: إي ما عادت محرزة المسألة..
فكّيهْ وابعتيهْ.. وخلصِتْ المهزلة.

«١» تريفيرا: قماش مطاطي قريب لـ المليكر
«٢» الساقط: قطعة حديد تعلق لتسد فتحة الباب
«٣» اللاقط: القطعة الأخرى التي يوضع بها الساقط

١٠ حكاية اللحاف

كان يا ما كانْ يا سادة يا كرام
كان في حرمة مستورة اسمها أمورة
وعايشة مع جوزها بحارة الجورة
وهيِّ كانتْ ضيعة مهجورة.. بس صارت معمورة
وكان جوزها جشع وبخيلْ.. ومالو مثيلْ
ويوم من الأيام انعزمت هالمستورة على عرس بنت المختار
ولبست وتغندرت.. وبالدهب تشنشلت
وقت بدها تروح لفّتْ حالها بالملاية
فقال لها جوزها: تعالي يا معزاية.. تعالي لشوفِكْ يا حربايةْ
شهَقْ شهقة وقالْ لها: لابسة أساور الدهبْ !
إي ريتك تصيري سعدانة ويطلع لك دنبْ
إي شْلحي هالأساور.. وحطّي بدالُنْ التنك
بخاف من الدهبات شي عين حسودة تصيبُنْ
لأنهن بالنسبة ألو هدول ثروات
وشلَّحها هالأساور.. وقالْ لها: انضربي روحي مع طيبْ خاطرْ
وراحتْ ع العرس ودمعتها على خدَّا
من عملة جوزها إلي كلمتو ما بتردَّا
وهي ماشية بالطريق لبيت المختار..
وعم تفكر بجوزها التور المطعَّمْ ع الحمار
طلعْ لها قاطع طريق بينقال عنو مشلِّحْ
وحط الفرد براسها، وشلَّحها مداسها
وقالْ لها: امشي بدون صوت.. أحسن موبفشكة يجيكي الموت
ومن بين الحارات انداري.. حتى نصل لداري
وسكتت هالأمورة.. وقالت لنفسها: ولي وقعتْ بالجورة
وصارت تبكي وتولول.. على حالها هيِّ وهالمتسوِّل
فخبطْها هالمؤذي على راسها.. وحملها على ضهرو هيِّ ومداسها
وراح فيها لبيت بالبرية.. مخبَّأ أفا شجرة عمرها شي ميِّة
وكان هالبيت عدمان ومهري وحالتو سقيمة
وهو عبارة عن غرفة إلها باب بقفل
وإلها شباك صغير ما بيطلع منو أصغر طفل

ولحشها ع التخت..
ونطرها حتى تفيق لوحدها من الخبط
وصحيتْ هالمسكينة وهو قاعد عم يستتّاها ع الأرض
ولما فاقت صارت تبكي وتسفق بحالها وتقولْ لو: دخيلك لا تفضحني والله جوزي بيدبحك وبيدبحني
وشو بدك مني؟ خود الدهبْ إلي بإيدي وصدري
أخد هالأساور التنك وهو مفكّرهُنْ دهب على دهب
ونظر عليها نظرة شهوة.. وفوراً هي عرفِتْ القفلة
قالتْ لو: دخيلَكْ لا تكونْ معي خسيس
وتخلي بيناتنا بليس
لأنك بتروّحني فطيس
وبتشرشحني بها الضيعة وبِصير سعري بسعر المداس
وقت بيعرفوا بقصتي الناس
وهوّ هالجربان ابن الجربانة
حليتْ بعينو هالحرمة إلي متل الرمانة
لأنو شافها مغندرة.. وكأنها عروس بليلة عرسها رغم أنها مسنّرَة
فقالْ لها: شبِكْ خايفة مني
لسا أول السهرة وما قعدْتِ لسَّا معي
قالتْ لو: دخيلك جوزي بيدبحني.. وبترجّاك ترجّعْني
حتى ما يمضي الوقتْ.. ويحسوا بغيابي وينمقتو مقتْ
قال لها هالمشلّح: ها ها ها
مفكّرة دخول الحمَّام متل طلوعو
ما بفلتِكْ من بين إيديّ.. وغيرِكْ اليوم ما بلوعو
ففكرت ها لمتعوسة..
أنو ما في مهرب من هالتور الأجرب إلي ما بتقدرلو لا بقرة ولا جاموسة
فقالتْ لنفسا: أحسن شي أعمل حيلة عليه بركي بيلبسا
وبركي الله بيكتبلي الهريبة والنجاة
لأني بريئة وشريفة ومالي بها لحركات
فقالتْ لو: شو قصدَكْ يا حبَّابْ..
قالْ لها: هَيْ أنا وأنتِ.. ومسكّر علينا البابْ

ومصاري ما معِكْ.. يمكن تاركتيهن ببيتك أو مخدعِكْ..
وفهمك كفاية، يعني جسمِكْ بس إلي معِكْ..
وجمالك هو إلي بينفعِكْ
روّقيني اليوم حتى أتركِكْ تفلّي بعد النوم
وكوني لطيفة معي شويْ بتركك تروحي بعد شوي
وبتركك تروحي قبل ما ينكشف أمرك وتموتي بهمّكْ
والبيت قرنتو غميقة وبعيد.. وقد ما زعوطتِ وولولتِ ما راح حدا يسمعك
فشو قلتِ يا حلوة يا ذكية؟
أرضي معي لعيّشِكْ ساعة هنية
وخلّيكِ معي رضيانة.. أحسن مو بالغصب تصيري ندمانة
فقالتْ لو: موافقة بس هيك ع الناشِفْ.؟
ولا أكل ولا شرب؟ وهيك بيتك فاضي ومو عارفْ
قالْ لها: لعيونِكْ يا جميلة
بيحضر لِكْ أحلى الطعامْ والشراب.. بسْ لا تكوني سئيلة
ولا تعملي عليّ شي حيلة
والأفضل قايم روح أقفل عليكِ البابْ
حتى ما يكون لهروبك شي من الأسبابْ
أصلاً هون ما في ولا سردابْ
ولا تنامي بغيابي.. لأني راجع لك يا أحلى حبابي
قالت لو: طيب لا تروح وتطوّل لأني من الجوع مهلوقَةْ
وخايفة يروح الوقت سلوقَةْ
انبسَطْ من حكيها هالحقيرْ.. وجاب المفتاح من الزيرْ
ليجرّبْ القفل بجوزة الباب.. قام علِقْ المفتاح بالجوزة
وما كان يطلع لا بحلال ولا بحرامْ
لحتى انكسر المفتاح بالجوزة من قدامْ
وطار عقلو من راسو.. وغضب وفقد إحساسو
وكتير كتير غضِبْ
وصار متل المي ع الزيت الحامي وقت بينسكِبْ
وهي ساكتة وخايفة وقاعدة بزاوية التختْ
وخايفة ينحطّ براسها شي جفتْ

وهو هدي بعد شوَيّ.. كأنو بردت براسو الميّ
فقالْ لها: أجتني فكرة يا أحلى وحدة بالحيّ
حتى ما تهربي والباب مالو قفلْ
يا بضل عنِدكْ وبلا الأكلْ.. يا بجيب الأكل بسطلْ
إذا نفذتِ لي شرطي الوحيد إلي ما لو تاني
تشلحي ثيابك كلها.. البراني والجواني
فقالتْ لو: دخيلك بدك تتركني بالزلطْ
أكيد عم تمزح.. وجاية تخرط خرطْ
فقالْ لها: أبداً ما في غير هالحل
قالتْ لو: صدقني ما راح أهربْ.. وحط ثقتك فيني ولا تملّ
وترؤَى عليّي يا خفيف الظلّ
يا أما خدني معَكْ.. بجوز هيك أنفعَكْ
فقالْ لها: لا تحاولي.. وأحسن طريقة لتبقي معي بالغرفة طليقة
إنك تشلحي وتعطيني ثيابك آخدهن معي أمانة
لحتى أرجعْ لِكْ بالسلامة
وبضمَنْ عدم هروبك.. من قَدَرك ومني أنا محبوبك
وبالبيت بيكون مأكَّدْ وجودك
ومن فرحتو بالفكرة.. نفَّذها ع الفور بها لمسكينة المنقهرة
وصار يضربها وينغزها لتشلح ثيابها وتزتها
وشلحت هالمسكينة هالأواعي لها لحردون
وأخدهُنْ معو من الملاية للكلسونْ
وترك هالمسكينة.. لافّة بعضها البعض.. وهيِّ على حالها حزينة
وراح ورد عليها الباب.. طبعاً بدون لا قفل ولا مفتاح
وفكرتْ هالتعيسة شو تعمل
وتناوقت هون وهون لتلاقي شي قماشة أو شرشف أو بشكير
لحتى تستر فيها نفسها من عملة هالحقير.
فلَقِتْ تحتها لحاف.. فقالت لنفسها: أجتْ فرصتك يا بريَّة
لفّي اللحاف عليكِ واهربي ولو كنتِ وحدِكْ بالبرِّية
أهون ما ينالك هالمجرم ويعملِكْ لقمة هنية
لفّتْ على حالها هاللحاف العتيق المنجَّدْ

وهربتْ فيه وهي عم تتلفَّتْ
لتشوف حدا شايفها أو بشي لختة حدا ناطرها
هيك لوصلتْ ع البيت
ويا ويلها من إلي شافتو من جوزها إلّي متل الحيط
حكت لو القصة.. وأكَّدت لو أنها بريئة
وما مَّسا هالمشلِّح أبداً.. وهي كانت بهروبها جريئة
وطبعاً ضربها جوزها وما صدَّقها
وكان فرحان لأنو ما أخذت الدهبات معها
وقلَّعها برَّات البيت.. كأنها بصقة بصقْها
فراحت باللحاف إلي كان معها.. لافّة جسمها فيه وساترها
هيك أمر زوجها أنها تروح بالجرم المشهود إلي كان معها
وصلت لبيت عزوتها وشرحت لهم الحكاية والحادثة
وأنُّو ظلمها المشلِّحْ.. وجوزها الخسيس أبو مفلحْ
فكتموا الحكاية.. أهلها وخبُّوا اللحاف بالكنباية
حتى ما تصير قصتها علكة بالّي رايح وإلّي جاية
بس الدَّني جوزها ما كذَّبْ خبر
وراح لعند أهلها ورمى عليها يمين الطلاق بالمختصر
وقعدت عند أهلها هالمظلومة..
بس فضحها زوجها بالضيعة ووصفا بالملعونة
وصارتْ بنظر الناس ملومة
ويوم من الأيام.. بعد الحادثة بشي ثمن تيام
كانت مهمومة وعم تبكي.. ولنفسها عم تسب ولألله عم تشتكي
وكانتْ ضايجِة ومعصّبة فتناولت اللحاف إلّي بالكنباية
لتفشّ قهرها فيه لأنو هو سبب الحكاية.
وأخدتو وبلَّشتْ تشرِّط فيه بالسكين يمين ويسار
وتشبِّط فيه تشبيطْ.. وعلى حالها نازلة تخبيطْ
وفجأة انفزر اللحاف وانتكَتْ إلّي بقلبو
وصارت تتناثر منو المصاري المصففة داخلو
ألوف ألوف مرتبة بصفوف
إجتها الصدمة والصفنة

وقالتْ لنفسا: أتاري هالحرامي حاشي اللحاف بالمصاري بالجملة
وصارِتْ هالمغدورة تبكي وتضحك..
لأنو وضحت قدَّامها الصورة وهي متل المجنونة
ونادِتْ لأهلها ليعرفوها أنها مظلومة
وليشوفوا براءتها باللحاف
ولو كانت مع عشيقها يوميتا ولافها باللحاف
لما كان ملاَّه بالمصاري وحطو عليها وع الكتاف
فدريتْ هالضيعة بهالصنيعة وقالوا: إلاّ ما يقع هالمشلِّخْ..
ويدوِّر على اللحاف صاحب هالمصاري السفَّاح
ونلقْطو ونبرِّي هالحرمة من هالتهمة
وقت دري جوزها بالقصة.. وأنو صار معها ميات وألوف
فقالْ لحالو: لازم رجِّع هالصواني ع الرفوف
وراح لبيت حماه.. حتى يرجِّعْ مرتو لِحماه.
فردَّتْ عليه وقالتْ لو: وشريفْ وسمعتي مين بيرجّعها؟!
ولاّ ما عادت بتهمَّكْ.. وقت دريْت بالمصاري؟ إي استحِ على دمَّك
وبعد ما فضحتني ووصَّلتْ مسبتي لمسمعي
وقامتْ لمّتْ عليه أهل الضيعة
لتفرجيهن أبو مفلح أديش أخلاقو وضيعة
وقالتْ للناس: إذا بيَّنْ المشلِّخْ ودوَّرْ على مَصَرِيه
واعترف بالحقيقة
رحْ كونْ مرتاحة.. ورح موت بين إدين ربي وأنا بريئة
وبعد كم يوم دري المختار أنُّو في واحد عم يسأل على حرمة أبو مفلح
فعمل كمين مرتَّبْ.. ليوقع فيه المشلِّخْ ويتعذَّبْ
ولقطو وحبسو وجاب هالحرمة لتتعرَّفْ عليه
وعرفتو على الفور من عينيه
وطبعاً سلَّموه للمخفر.. وماكان حدا أشطر
وهيِّ وزَّعت المصاري على أهل الضيعة
على شرف هالقصة وإثباتها إنها بريئة
ونكاية بجوزها الندلْ
عبَّتْ المصاري بالسطلْ

وصارت تنثرهُنّ على أهل الضيعة نثر
وبالنهاية أحلى كلام.. بهالحكمة المأثورة ع القدام.
بين الفضيلة والرذيلة صفات الروح.

١١ كيد النسوان

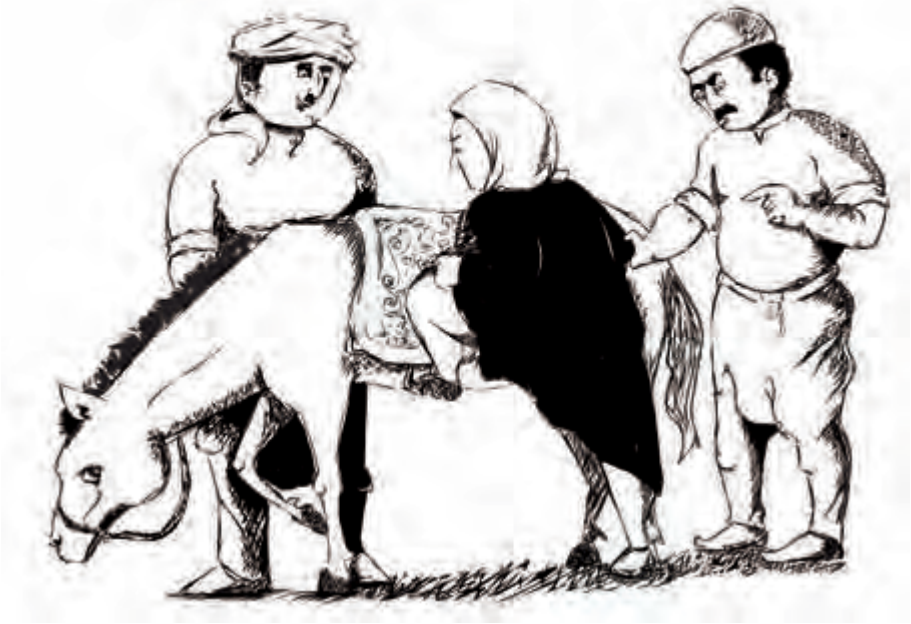

رحْ إحكي لكم حكاية.. فيها عبرة ورواية..
روتْ لي ياها ازدهار شمشاية
ومتل ما بنعرف.. الحكي كتير عن كيد النساء
وأنو غلبْ كيد الرجال.. ما في محال
وهالحكاية بتثبت أنو كيد النسوان..
قدّيش هوّ من فعل بليس.. ومن فعل الشيطان
والنسوان ما بيقدر عليهن غير رب العباد
لأنو أفعالهن فيها كيد وعناد
كان في سالف العصر والأوان حرمة متجوّزة ومستورة
وبالحارة معروف جمالها.. وأنها حلوة وأمورة
وكل رجال الحارة بيتمنوا معها صورة
وملعونة وحِرْكِة.. ولجوزها هي نغشة
وكان جوزها درويش وما في شي بالحال
وطاير عقلو فيها وعلى كل شي يقولْ لْها: ح بصير بالحال
وشو ما طلبتْ بيحضر لها بالحال
وهيِّ حمَّلتو فوق طاقتو.. والدين عم يشرّ متُّو متل ريالتو
فهالطماعة ما عجبتْها العيشة مع جوزها هالخبيثة
فعشقِتْ على جوزها دكنجي بالحارة..
وهوّ أصلو من العمارة.. واسمو كان بشارة..
بس هوّ ألعن من زوجها بكتير هالحمارة
وصار كل يوم يختلي فيها.. وعلى كل درس لون
وهي تناغشو وتنادمو كمان.. وكأنها عايشة معو بأمان
بس يروح جوزها على عملو.. بيفوت التاني ليشوف شغلو
ففاحت ريحتها بالحارة..
لأنو الموضوع بدو ينكشف بالأخير.. ما بدا المسألة شطارة
صاروا يهمسوا بأذن جوزها همس
عن هالخسيس وهالنمس
وجوزها لأنو بيحبها ما كان يصدق هاللمز
ومع الأيام كتر الحكي وصار صريح
وهيِّ عم تنكر وتقول لو: مو صحيح

وهالرجَّال الدرويش صار يشكّ بحرمتو هالنمرودة..
وصار يراقبها ليلقط عليها خيانتها اللدودة..
حتى يناولها شي فشكة من شي بارودة.
وقّف شغلو وانتزع عملو.. وما كان يقدر يكمش عليها شي
فهمس بأدنو رفيقو.. وقال لو على حل ليفرّجلو ضيقو
أنو ياخد هالحرمة ع الجبل المقدس وتحلف..
وإذا كان الحلف كذب.. ألو عقاب من رب العباد وسريع ومجاب
وما بيلجأ للجبل والحلفان..
غير كل واحد فاقد الحيلة ويأسان.
فعجبتو هالفكرة الرجَّال.. ونفذها بالحال
وقالْ لْها لمرتو: حضّري حالك للحلفان المقدس
فجنّ جنونها ونبقوا عيونها.. وصارت متل المجنونة
وما كانت تنام بالليل من التفكير هالملعونة
وكانت عم تفكر كيف بدها تهرب من هالورطة
لأنها إذا كذبت تخاف من النهاية وتروح رقبتها بالبلطة
وإذا ما رضيتْ تحلف بِصير لها جرصة
وكيدها الشيطاني.. أرشدها بحل وحيد مالو تاني
فقالتْ لعشيقها: خود معك بغلة.. ووقف بسفل التلة
وقت بوصَلْ أنا بدّي أركب عليها
وخلّي الباقي عليّي.. لحتى ما تنبلى فيّي
تاني يوم الصبح لبسِتْ ملايتا ومداسا
وحطت إيدا على راسا
وقالتْ: الله يعينّي على هالمهمة
قالتْ لو لجوزها: أنا جاهزة للحلفان عن هالتهمة
فأخدها جوزها وراحوا للجبل المقدس إلّي فوق التلة
فقالْ لْها: ليش ماشية متل النملة
لسَّعتنا بأول الطريق.. استعجلي هلأ بينشف الريق
وصلوا لسفل التلة
وكان العشيق واقف وجاهز مع البغلة
فقالتْ لجوزها: تعبت كتير وما عاد فيّي أمشي

فقالْ لْها: عم تعملي حيلة حتى ما تنكشفي وتغشّي
فقالتْ لو: وقّف فيّ عند حد.. صدقتي تعبت عن جَدْ
ركّبني على شي جمل أو حمار أو مركوب
لأطلع وأحلف لك بالمطلوب
فجوزها شاف البغلة مع الرجّال
فناداه وطلب منو يركّب هالحرمة لراس الجبل
وفاصَلُو على السعر على قد العمل
وطبعاً رضي العشيق وقالْ لْها: اتفضّلي يا حرمة
فأجت لتركب على البغلة
وقالت لجوزها: آه رجليّي تورّموا وصاروا قد الحلّة
بوصّلني لسفل التلّة
وهي عم تحكي كشفت عن رجلها حتى الركبة
وعلى أساس مو قصدها..
فرخى لها العباية وقال لها: انتبهي واتستّري يا حرمة
واستري نفسِكْ يا جحشة.. البغّال شاف عورتِكْ يا دبة
والخلاصة وصلوا لمكان الحلف في الجبل
وقالْ لْها: انزلي من ع البغلة.. وعطى البغّال أجرة النقلة
وقالْ لْها لمرتو: احلفي مين شاف عورتك غيري
وكوني صادقة.. أحسن ما غَضَبْ السما يكون فيكي لازقة
فحلفت هالمغضوبة المكيودة
وقالتْ: والله ما حدا شاف عورتي غير إنتِ وهالبغّال
ونفّدِتْ حالها هالبلية
وقتّعتْ حالها هالخسيسة
وبَرَدْ قلب الرجّال.. وقالْ لْها: تعالي نرجع بالحال
وما كمّل كلامو حتى خرّ عليهم الجبل
من ذنوب وكذب هالخبيثة
ومغزى القصة يا إخوان..
أنو الجبل ما حمل كيد النسوان، كيف بدو يحملو الإنسان

١٢ حكاية اللعبة

رح أحكي لكُنْ حكاية إلها عبرة
عن وحده كان اسمها مسرَّة
وعن سلطانْ جائر من هداك الزمانْ
كان ظالم ومتعقِّد من النسوانْ
وكان ألو سلطة ومتسلّط على هالعباد
وشو عم يعمل مو عرفان
وكان هدفو من النسوان يحبسهن بعد ما يتزوجهن
ويحطّهُنْ بمخدعهن وما يخلي حدا يلمحهن
وكل وحدة يتزوجها عن الناس يبعدها
ويعذبها بحبسو إلها
وبعد كم شهر
تموت من القهر
وكانت ضحاياه من النسوان متل فرط الرمان
وكان ما بيتجوَّزْ غير الحلوة الصبية
يلّي تكون ألو سبيِّة
حتى يروِّق عليها ويسكنها بالعلِّية
بجناح خاص فيها حتى تعيش غريبة ووحيدة
وغرفتها تكون كبيرة وبالديباج مفروشة
وبالحرير والقصب ستائرها منقوشة
وسجادها إيراني وكاشاني
وشراشفها من حرير دودة القز يلّي مالو تاني
بس شو الفائدة يا حرام
الحبس حبس حتى لو كان على ريش نعام
ووقت ماتت آخر وحدة عندو
ما حزن طبعاً ولا حط إيدو على خدو
راح ينقّي وحدة على قدو
لتزيِّن حبسو وتكون ملبَّسة طعمها حلو تحت درسو
ونزل ليتفنَّل بالمدينة
حتى تعلق بإيدو شي حزينة
والله ما عَطاها حظ من عندو

وهو ماشي ومبحلق عينيه
وحرَّاسو وطواشيه بين رجليه
لمح صبية من أجمل ما كَوّن الرحمان
وقوامها غصن البان
وسبحان الله على وشّها الحلو هالباري العدنان
وعيونها متل عيون المها
كأنها حورية أو من ملائكة السما
وشعرها حرير على ظهرها انسكب
متل لون الجمر فوق الحطب
طار عقلو من راسو
ونلخبط دوزانو وفقد حواسُّو
وبسرعة البرق نادى حرَّاسو
وركضوا هالحرّاس ع الفورْ
كم واحد ما شيينْ بالدورْ
ليجيبوا هالحلوة الفتية
ولو كانت بحضن ستنا رقية
ليجيبوا هالمعترة لحضرة السلطان إلّي قاعد بالمنضرة
وجابوها.. وتركوها بحضرتو
لتواجه مصيرها إلّي ما حسبتو
وتأمّلها السلطان
كأنها شاة حانْ دبحها عالتمام
وقرب صوبها لقدام
وهمس بأذنها كم كلمة
وقالْ لْها: حتى تعيشي بقصري متل النجمة
اسمعي كلمتي وطيعي أمري
ويكون بمعلومِكْ: ما حدا بعد اليوم رح يشوفِكْ غيري
أحسن ما أعمل من جلدك دربكّات
ومن أدانك صاجات
ومن لحمِكْ أعمل حباشات
فخافت هالمغدورة وقت تجلّت عندها الصورة

وسكتت واستكانِتْ.. لأنها عرفت إلّي قبلها شو عانِتْ
وتجوَّزها السلطان
وعيَّشها بغرفة الأحلام
وقطفْ عليها هالضربان
وكل يوم يجيبها لمخدعو.. وعن اشتياقو يحكيلها شو صار معو
وعاشِتْ عندو هالمسكينة
من تم ساكت وهي حزينة
محبوسة بأربع حيطان لا شبَّاك بغرفتها
ولا باب ينفتح بأوضتها.. ولا حدا تحكيلو همها
وانحرمت شوفة أخواتها وأمها
وصارت تدبل هالزهرة
متل ما دبل غيرها بالمرة
وكل ما يجي السلطان لمخدعها
يشوفها نايمة ومعانقة لعبتها معها.
وهو متل الكلب الجربان
عم ينتظر إيمتى بدّها تموت هالجميلة من الحرمان
يعني حرمانها من الحرية ومخالطة الناس وهدا هو الأساس
ومضت شهور ومضت سنين على هالحرمة بحبسها المسكين
وبأملها بالحياة والحنين.. لينفكّ حبسها ولو بعد حين
وهيِّ صابرة على نفسّها
وصار بتسأل هالسلطان الظالم
أنُّو لهلأ وهو ناطر ومن عملو ما لو نادم
وعم يستنَّى تفارق روحها هالدار
لأنُّو ملّ منها باختصار
وبدُّو يجيب بدالها من الجوار
بسْ تفاجَأ كتير بأنها طولت وما انهارِتْ وما وصلِتْ لـ هالمصير
فدخل مرَّة مخدعها وهوَّ معصِّب
وميت عفريت بوشّو عم ينطوِطْ
وهوَّ متل التور
والشياطين راكبة راسو بالدور

وقالْ لْهاوهوّ عم يتساءل: فهّميني كيف لهلأ ما متّي متل غيركِ !
مع أنّو من هالحبس معروف مصيركِ
والألعنْ من هيك إنّك لا بتنقّي ولا بتسقّي
يعني ما عم تفشّي قهرك وتبقّي
فقولي شو عندك
واحكي شو السبب أحسن ما نادي السّياف
يقشّ من على جسمك هالراس
قالتْ لو:
دخيلك يا سلطان استنّى لأحكي لَكْ حالتي ع التمام
السر بها للعبة الحزينة
إلّي خيّطتها على إيدي بدون زينة
إلّي كل يوم بعانقها وقت النوم
وبحكي لْها همي وبشكي لها وجعي
وببكي على إيدها.. وبتنهّد على قلبها
وبحكي لْها عن حبسي وتعبي.. وعن مراري وسقمي
وتناولْ هالسلطانْ من جنبها هاللعبة إلّي هيّ صنعتها
من قماش وبالكتكت«١» والورق حشتها
وقت حمل هاللعبة فرطت بإيدو متل الصفوة
وكأنّها محشية صفوة وغبره
وكانْ دايب بقلبها الكتكت بالمرة
وكأنّها وحدة ميتة وقاطعة الأنفاس
وعفّرتْ إيدو ووشّو وشعر الراس
فقالتْ لو: هي بيت سري
وأنا صنعتها من أول أمري
حتى أشكي لها وجع قلبي وحبسي وقهري
وشوعم يجول بفكري
فامتصّتْ اللعبة همي وتعبي وسقمي
وفرطِتْ وماتت بدل عني
والجنة بلا ناسْ ما بتنداسْ
ولو كنت ما عم فش قهري لمتتْ من أول عمري

وهذا سر موت نسوانَكْ بعد شهور
لأنك حبستهم عن الناس
طبعاً ما رح يعيشو دهور
ولأنك سلطان متجبِّرْ على مرّ العصور
ولو دامت لغيرك لما آلت إلَكْ يا مغرورْ

«١» الكتكت: قماش مشرَّط

١٣ حكاية الموعد

كان من زمان في نجّار درويش وعندو دكان
وهوّ كان بالأصل حطّاب
وعندو صانع شغيل وحباب
نزلوا الصبح على الدكان.. إلّي كانت قريبة من جامع الشيخ رسلان
فقالّ الصانع لمعلمو: أعمل لك براد شاي يا معلمي؟
فقالّ لو: المنيحة بدا سؤال؟! ساوي الشاي بالحال
راح هالصانع سلمان ليساوي الشاي لمعلمو أبو عدنان
وبها لوقت أجا جار الحطاب، وكان اسمو أبو دياب
فقال لو الحطاب: أجيت وألله جابك..
تعال شراب الشاي معي وريّح جنابك
وقعدوا وتسلوا لحتى ملّوا
وصار وقت الغداء، فقال لأبو دياب: اقعد واتغدى معي أحسن ما آكل لوحدي.
وصانعي سلمان بيجيب الأكل على التمام.
ونادى للصانع وقال لو: روح اقطع اللحمة من عند دكان أبو مستو إلّي جنب الجامع.
وقولّ للحام يشوي اللحمة تمام
ويقمّرّ الدهنة بالشوي حتى تصير متل جناح الدبور
وجيبّ كم رغيف من التنور
وصحن سلطة ناعمة
جيبها مع صحنّ مسبحة على وشّو السمنة عايمة
فقالّ لو الصانع: بتأمر أمر يا معلمي، رح جيب الأكل على مهلي
وراح الصانع سلمان
بس يا حرام رجع هالصانع بسرعة وهوّ عدمان
عم يركض ويلهت من الخوف
والزبد عم يطف من تمو كأنو شايف شوفة بتقطع الجوف
وقالّ لو دخيلك يا معلمي خبيني يا معلمي بدو يقتلني !
خبيني أحسن ما يخطفني أو ياكلني !
فقالّ لو الحطّاب: إي شبك متل الكبش هربان؟!
وكأنو حان دبحك ومن هالشي خوفان !
حكيلي شو القصة.. شبك عم تخبّص بالفصّة؟!
قالّ لو: يامعلمي وجهو بخوّفّ كتير

بخوّفْ الكبير والصغير
ووجهو فيه ملامحْ الموت والكفَنْ
وريحتو فيها ريحة المقابر والعفَنْ
لمحتو يا معلمي عم يطلّعْ فيّي.. كأنو راسمْ عليّي..
أو ألو شي تار بدو ينفذو فيّي
ولون وجهو أسود متل الفحمْ
وملامحو أبداً ما بتنفِهمْ
وعيونو لونها حمرة.. كأنها رحْ تبظ لَبَرَّةْ«١»
وشعرو أسود حالِكْ.. كأنو قبَّاضْ الأرواحْ أو مالكْ
كأنو فيه سعير جهنم أو مع حدا متعارِكْ
دخيلك يا معلمي خبّيني.. أو بأي مكان خْفيني
بخاف يلحقني هالشيطان وعندك يلاقيني
فقالْ لو معلمو: لك شبَكْ.. لك شبك؟!
قوم شدّ عودك شوَيْ، وقِّفْ على حيلك ولا ترتِبكْ
قالْ لو: خايف دخيلَكْ خايفْ
فقالْ لو الجار أبو دياب: لكْ شبكْ يا جاري؟!
ساعدو بقى لأنّو هدا صانعَكْ مو صانعي
وقلبي شفِقْ عليه.. لأنّو قلبُهْ صار بين رجليه
فقالْ لو الحطّاب: إي روح تخبَّا قفا البابْ
فقالْ لو الصانع: لأ دخيلك بدّي روحْ لضيعتي
وأتخبَّا هونيكْ عندْ عيلتي
عطيني حصانَكْ بوصّلني على ضيعتي قبل طلوع الضَّوْ
شو ما بتساعدني ولَوْ؟!
فقالْ لو الحطاب: لك ضيعتَكْ بعيدة يا مسطولْ
معروفة هي ضيعة الزعرورْ.. أبعد من ضيعة أم التتورْ
فكيف بدك توصّلها على الفورْ..
فقالْ لو الصانع: معليش دخيلَكْ قبل القمرْ ما يغيبْ
أنقذني بجاهْ الحبيبْ
فقالْ لو: خودْ الحصانْ من الخابية..
وروحْ عن طريق بابْ الجابية

وراح هالصانع بطريقو هربانْ..
وكأنّو من الخوفْ صار بَدَنو جربانْ
فتفاجأ بهالرواية الحطّابْ.. هو وجارو أبو دياب
فقالْ الحطاب لأبو دياب: اقعدْ بجنبْ البابْ
لروحْ جيبْ الغدا.. وما دخلنا بحدا
وهوّ بطريقو بالسوقْ..
عمْ يفكّر بهالرواية إلّي نخرتْ لو راسو وصار متل البوقْ
لمح رجّال غريبْ.. فتذكر حكي صانعو إلّي من قريبْ
وكان الرجّال طويلْ عريضْ..
ومن شوفتو الصحيحْ بصيرْ مريضْ
شافو بالسوقْ عم يتفتّلْ..
ومن مكان لمكان عم يتنقّلْ
وأنو شعور غريب للحطّاب انتابو
وكأنو شي نمر عضّو بنيابو
وتذكر الأوصافْ نفسا إلّي صانعو ذَكَرا
فقالْ لنفسو: بدّي ألحق هالرجّال واسألوا عن القصة لشوفْ بينكرا
وقرّبْ جنب الرجّال.. وتسمّرْ قداموا متل البسمارْ
وقالْ لو: لو سمحتْ يا سيدي.. بدّي أسألَكْ سؤالْ
إنتِ إلّي شفتْ صانعي ورعّبتو؟!
وبعيونَكْ قوّرتو.. وبدّك تلحقو وخوّفتو؟!
مينْ بعتكْ لعندو.. لتاخُدْ عيونو من خدُّو
فقالْ لو الغريبْ: صحيحْ، أنا شفتْ هالزلمة من قريبْ
بسْ أنا كنتْ عمْ اطلّعْ عليه مو لأرعبو
كنتْ بنظرْتي إلو متفاجِىءْ.. بَسْ مو لأخطفو
لأنّي أنا مأمورْ..
وعندي موعدْ معو.. بس آخر الليل وقبل طلوع الضّوْ..
وموهونْ وبضيعتو ضيعةْ الزعرورْ
فتفاجأتْ لمّا شفتو بالسوقْ.. كيف بدّي أدّي مهمّتي بالزوقْ
وإنتِ ما حانْ دورَكْ.. يا فرحتْكْ يا سرورَكْ
وقت أنا بنأمِرْ إلكْ.. ما رح قصّرْ معَكْ

لأنو بدَّكْ وقتْ أطول شويْ.. وأنا هلأ مو قدَّكْ
فقالْ لو الحطَّاب: دخيلَكْ مينْ إنتِ.. قلْ لي شي دليلْ
فقالْ لو: ما بدّها الشغلِةْ دليلْ أنا عزرائيلْ

«١» تبظ لبرَّة: أي تخرج من وجهه

١٤ صحا ليموت

هالقصة يا إخواني الكرامْ يمكنْ تكون حقيقية
لأنو حكتلي ياها عمتي هديّة
عن جارهُنْ أبو سعيدْ.. وعن ابنو الوحيدْ
وكانوا ساكنين جنب البحرْ.. بشاليه حلو ومتل السحرْ
وابن أبو سعيد كان بليد وبالسباحة ما لو علم
وما بيحبّ السباحة وما بيحب يتعلَّمها
والأم والأب بيحبوا ابنهن كتيرْ وما بيجبروه يتعلَّمها أو يتقنْها
ويوم من ذات الأيامْ صحيتْ أم سعيد على صلاة الفجرْ
فشافِتْ مناشِفْ ابنها مبلولة ومنشورة نشرْ
فقالِتْ لنفسها: يوه إي شو هلأْ ابني متحمِّم؟
الله يهديه شو مسهِّمْ
وما أخدِتْ وعطت بالسيرةْ
لأنْ القصة ما عملِتْ لها حيرةْ
وتاني يوم صحيت لتصلّي الصبحْ فشافِتْ نفس الشي
المناشف منشورَة فصارت مبهورَةْ
وسألت ابنها وقتْ فاق ليشْ هيكْ عمْ تتحمَّمْ بالليل وقبل طلوع الفجرْ
فنكرْ ابنها هالحكي وانتترْ نتر
فقالتْ لو: أنا شفتْ المناشف منشورين
مبارح واليوم وعالمنشر محطوطين
فقالْ لها: أبداً موصحيح هالكلامْ
يمكن حكيكْ أكيد بالمنامْ
وتعالجوا بلا فائدة
ومرق النهار لا هو مصدّقْ ولا هي مصدقة
وتالت يوم فاقتْ خصوصي قبل الفجرْ
فشافِتْ المناشف منشورين
فانقهرت قهر
انقهرِتْ من ابنها ليش عمْ يكذبْ وما في داعي للكذبْ
عيبْ عليه صار رجّال وعليه الكذب بينكتِبْ
فقالِتْ لنفسها: لقولْ لأبوه بركي خجلانْ يقلي شي
ومن أبوه ما راح يستحي

شرحِتْ القضية لأبو سعيدْ
من ابنو العنيدْ
ورابِعْ يوم وقتْ فاقِتْ طلوع الضَّوْ
شافِتْ نفس الموضوع وكان رايقْ الجَوْ
ففيَّقِتْ جوزْها
وشافْ هوِّ التاني المناشف المندَّاية المنشورِةْ
فقامِتْ المناشفْ وحطّتْها بالدرجْ متل العادة وهي مبهورَةْ
فقالْ لها جوزها: يا حرمة بركي منداينْ من رطوبة البحرْ
أو ابنِكْ متحمِّمْ وناشرهُنْ وما بدو يحكي إلي شو الأمر؟
إي شو هالشغلة سحرْ
وسأل ابنو عن المناشفْ
فقالْ لو سعيدْ: يا أبي أنا مرشّحْ وإلي أسبوعْ ما تحمَّمْتْ
وأنا ما كذبتْ وفيكم ما سرحتْ
فقالْ الأب لنفسو: أكيدْ في سر، وبدّي حطّها على عينو
وراقبو وبالجرم المشهود ألقطو، حطها على عينو
وظلّ هالأب سهرانْ طوال الليلْ وعم يتظاهر بالنومْ هيكْ لنصّ الليلْ
وقبل طلوعْ الضَّوْ بشوَيْ
سمعْ حركشة.. ردّ سمعْ حركة
فقامْ لقْوَطَة على رجليه وتخبَّا قفا الكنبة
فشافْ ابنو فتحْ درجْ الخزانة
وطلَّعْ منشفتو الدبلانة
وراح على غرفتو وطلِعْ لابس لباس السباحة
أو لباس قصير هيكْ عليه اللاحة
وراح باتجاه البحر بكل هدوء وراحة
والأب عم يلحقو شوي شوي
وعم يبلع ريقو ويمصمصْ شفتيرو من الغيْظ
وهو كان قلبو دليلو
أنّو ابنو كذاب.. ومن هالقصَّةْ ألو ذنابْ
ومن هولْ المفاجأةْ
أنّو ابنو ما بيعرف يسبح هون الفاجعة

فقالْ لنفسو: ليش وكيف تعلَّمْ السباحة بصورة خفية
ولا شو القصَّة ولا القضيَّة
وكان رحْ يصرخلو، وفكَّر شويْ وقالْ:
ما رح اندهلو هلاْ
حتى ما ينكُرْ ويتهرَّبْ
بناديلو وقت بيكون بنصّ الميْ
حتى ما يكون ألو حجَّة بالنكرانْ بعد شويْ
ووقت وصِلْ الولد لنص المي بالبحر
ناداه الأب: يا سعيد يا سعيد
ما رد عليه
قالْ لو: شبكْ بعدت وصرت بعيد
أوعك تغطُسْ وما تطلَعْ
لك اسمعني شو ما عم تسمَع؟
طبعاً الولد بالحقيقة ما بيعرف يسبحْ
بس بعقلو الباطني كان يتمثَّى يسبحْ
وهالأمنية صحّتو كل يومْ
وهَيْ اسمها أحلام اليقظة بتجي بعمل الأعمال الغير إرادية بالنومْ
والأعمال إلّي بتصير وقت النوم والحلمْ
ما بيقدر الإنسان يعملّها بالصحو والعلمْ
فلما ناداه أبوه أكثر من مرة
كان عمْ يصحّيه ويفيّقو يا حسرة
فصحِي من أحلام اليقظة
إلّي كان عم يمارسها
وبدون ما عمْ يشعر عم يلمسها
وكان بنص المي
فغرق !!!
وما قدر ينقذ نفسو بالصحو
لأنو ما بيعرف يسبح
ويا رب المغفرة والعفو
وللأسف ما لحقو أبوه

لأنو فكرو عم يمزح ويمرح
وكانت النهاية حزينة
ويمكن تحصل مع كلّ الناسْ
فخلّيك يا إنسان صاحي وواعي وفيك إحساسْ

١٥ حكاية الجاكيت

روايتي اليومْ بتهرِّب النومْ
ويمكن تكون حقيقية
سمعتْها من جارة أختي بدرية
وأنها حصلت ببلد اسمها بانياس

كان في أحَّينْ عايشين مع بعض ورايدين يسافرو من بانياس للشام
فاتفقوا ع الرحيل قبل طلوع الضَّوْ
وبارد يكون الجَوْ
بس بدهن يمشو بارتياحْ.. حتى يصلوا للشام قبل الصباحْ
وضبُّوا عتالهم.. وأخدوا مالهم
وتزوَّدوا بزوَّادة الطريقْ
من أكل وشرب وحتى إبريق الشاي العتيقْ
وطلعوا بمركوبهن هنْ وزوَّادتهنْ
وقصدوا وجهو الكريمْ رب العبادْ
وبطريقهنْ إجباري رح يمرُّوا بحمص، وهيَّ صغيرة هالبلادْ
وبأوَّل طريقْ حمص.. يعني بمدخلها في مقبرة
وهيِّ ع الشارعْ العامْ
بتظهر للعين مباشرةً وع التمامْ
ومتل ما قلتْ كانت الساعة قبل شقوق الضَّوْ
يعني قبل ما يشق الصبح بالجَوْ
وهنْ بالعربايةْ عم يتسامروا
وعم ياكلوا بندُقْ.. ويتسلُّوا بتفصيص الفستُقْ
لمحوا صبية لابسة عباية بيضا وملفَّحةْ فيها هيك يعني
وواقفة ع الشارع العام جنب المقبرَةْ
كأنها عمْ تستنى حدا، وهي بوقفتها مبسمرَةْ
ولافَّة هالتوب من قدمها لراسها
وعلى وشَّا باين إحساسها
بإنها بردانة.. أو خايفة أو من شي هربانة
ولما قرَّبوا من مشيتها
صارت تشاور لهن بإيدها وأصابعها

وكأنها عم تطلب نجدة
أو إنها واقفة من مدة
فقالْ الأول للثاني: حرام تعال نوقِّفْ لا ونشوف شو بدا
فقالْ لو التاني: بركي هربانة من جوزها؟
مو شايفها شالحة بابوجها؟
أو عاملة شي عملة أو سارقة شي سرقة
مالك شايفها واقفة بحرقة؟
ليقوم يجينا وجع راسْ.. ونلتقْ بشي مداسْ
قالْ لو الأول: لا يهمَّكْ إلي بفرِّجْ قلب حدا
الله بفرِّجْ عليه كربوع المدى
والنبي وصَّى بإغاثة الملهوف
خلِّينا نشوف شو بدها منكون عملنا معروف
المهم وبلا طول سيرة
اتفقوا يوقفوا العربايا
وقفوا جنب المقبرة بالطريق لهالحرمة المحتارة
وسألوها عن وضعها
وشو وقَّفها هون قبل الصبح لوحدها
فقالتْ لهن: أرجوكنْ لا تسألوني..
بس معكنْ بالمركوب طالعوني..
وعلى بيت أمي وصلوني
البيت بأوَّل طريق حمص..
وأرجوكنْ لا تنغِّصوا قلبي نغص
وركبِتْ معهنْ
فقالْ لها الرجَّال: شبِكْ بردانة يا حيرانة
وشَّكْ أصفر.. من البرد ولاَّ الرعبة؟
ولاَّ من شي مصيبة هربانة
ما ردَّتْ عليه.. وقامِتْ عيونها من بين عينيه
فقالْ لها: والدنيي شتا وبردْ.. ويمكن ينزل مطر وبردْ
المهم شلح جاكيتو وقالْ لها: أدفا من ما لقيتُو
غطِّي حالِكْ لتدِّفْ

البسيه بس لا تنسي وقت بتصلي بتشلحيه
لبستو فوق الملحفة تبعها.. ورخِتْ راسا ونظرها
وضلت لابسة الجاكيت.. لحتى نيّة وصلِتْ ع البيتْ
ووقت وصلت قالتْ لهن: دخيلَكْ وقفوا شويْ لأطلع ألبس ورجِّع لكْ الجاكيت
وبالطابق الأوّل البيت لوحدو وجنبو في حيط
وراحِتْ هالحرمة وشافوها وين دخلت وغابت
وما عادوا شافوها وين صارت
ونطروا ونطروا قرابة الساعة
ولعب الفار بعب هالجماعة
وقالوا لبعضهم: لتكون سرقت الجاكيت
وفوتتنا بالحيط
فقالْ الأوّل: قوم لندقْ عليها ونسأل ع الجاكيت
والله إلها زمان فايتة ع البيت
فقالْ الثاني: إي شو هلأ بدنا ندقْ ع الناسْ
والله عيبْ.. إي شو ما فينا إحساس؟!
فقالْ لو أخوه: ما بقى أنتظرْ ولا لحظة
بركي هالحرمة هربت وتركت مطرحها؟
ونزلوا من المركوب..
والطريق فاضي وما فيَو حدا من المارة
وطلعوا بالبناية
ليدقوا الباب عليها ويشوفوا شو الحكاية
وليش تأخَّرِتْ هالغريبة الجربانة
ودقّوا الباب وانتظروا
وردّوا دقوا ما عاد نَطَروا
ففتحتْ الباب حرمة ختيارة
وهيِّ متفاجأة من هالزيارة
وقالتْ لهنْ: مين أنتو وجايين من وشّ الصبح
وأنا ما بعرفكن ومالي لامحة وشكن لمح
اعتذروا منها وتأسَّفوا لها
وحكوا لها حكايتهن وشرحوا لها

وأنو الحرمة الصبية فاتت لهالبيت
فقالتْ لنْ: إي إرجع إنتِ ويَّاه ع الحيط
وهالحكي كلو كذب بكذب.. رح تجدبوني جدب
لا تفكروني ختيارة وخرفانة
أوصحيت هلأ ونعسانة
ولأني عايشة وحدي بالبيت
وأكلي كلو خبز وزيت
وأنا ما بطلع وما بفوت
وما بيجي لعندي ولا ضيف يمكن لحتى موت
ومالكن شايفيتّي عايفة حالي ووشي متل الكوت
قالوا لها: لا تكذبي..
نحنا شفناها دخلت لها لبيت فلا تحلفي وتندبي
فقالت: والله أنا ما شفت حدا
ولا اندقّ عليِّي الباب ولا شافتي حدا
فقالْ: هدا الحكي مستحيل
بدّكْ تسرقي إنت وياها الجاكيت
يمكن خبِّيتيها جوات البيت
فقالتْ لهنْ: طيب الميْ بتكذّب الغطاسْ
فوتوا ودوّروا أحسن ما ينحمّ قلبي منكن ويصير فيه دوحاسْ
تفضلوا جوات البيت
وفتشوا ولحمسوا على كل قرنة وعلى كل حيط
وما كذبوا خبر الجماعة.. وفاتوا وفتشوا كل غرفة على حدا
فوصلوا لغرفة مسكَّرة
واقفة جنبها هالختيارة ومبسمرة
قالوا لها: بعّدي من هون كشفناكِ
يمكن مخبية الصبية هون.. خلصْ عرفناكِ
وعرفنا شو وراكِ
قالتْ لهنْ: يا ابني هي غرفة بنتي مسكَّرة من خمس سنين
وأنا بنضّفها كل حين وكل مين
ولا تذكّروني بالحزن إلي مضى من سنين

تعالوا شوفوها..
ففاتوا ع الغرفة.. ما لقوا فيها حدا
فلمحوا صورة الصبية معلقة ع الحيط ومسمرة
ببرواظ خشب وعليها شريطة سودا ملزقة
فقالوا لها: هَيْ هِيِّ الصبية إلي سرقت الجاكيت
وهربت فيه وفاتت ع البيتْ
لا تنكري الدليل واضح ليكو ع الحيطْ
وين مخبِّيتيها؟ ووين الجاكيتْ
إحكي بسرعة أحسن ما ننكُتْ هالبيتْ
فقالتْ لهنْ، وهيِّ عم تبكي
وعم تتنشّوَقْ بس ما عم تشكي
قالتْ لهنْ: لك هَيْ بنتي ميتة من خمس سنواتْ
وهنيك مدفونة بمقبرة حمص صدّقوني يا ولاد الذواتْ
فتفاجؤوا من هالحكي وقالوا: يمكن تكون كذابة هالختيارة
أو خرفانة أو سلاَّلة.. أو جدبة وحمارة
فقالوا لها: تعالي فرجينا قبرها لنصدقك اسمو طلع الضَّوْ
قبل ما نروح بحالنا ونقول: يا ريت ويا لَوْ
ووافقت هالختيارة
وراحت معهن.. وأول ما وصلوا لأول المقبرة
لمحوا الجاكيت معلق ع الشاهدة
يعني على شاهدة القبر.. قبر بنتها سعادة
فولولوا من الخوفْ..
ومن هول المفاجأة والمنظرإلي بيقطع الجوفْ
واللغز بالموضوع.. يا متابعين هالقصة بوضوح
أنو روح البنت الصبية هي إلي لبست الجاكيت
لتزور أمها بالبيت..
وإلي بعيش بيسمع وبشوف.

١٦ الحلال والحرام

سأروي لكم حكاية يا سادة يا كرام
مأخوذة عن الفرزدق.. ومن أيام زمان
يُحكى يا أعزائي عن حرمة حلوة كتير..
ومرتَّبة كأنها بنت وزير
متجوزة من رجال قادر ومقتدر
وتاجر مهمّ بسوق الحميدية
باللحف والشراشف والأغباني
يعني مرزوق.. وما لو ملحوق
ويحب مرتو كتير.. بس نفسو خضرا ورجَّال خطير
وبضل يعاشر النسوان والعياذ بالله
وما يهمُّو إن وصل لمرتو الخبر.. ولو حلفوا لها بالله
يعني بالمختصر زير نساء.. ويحب الرَّواق
وما بعبِّي عينه إلا التراب.. سمعت يا حبَّاب؟
وهالرجَّال من مرا لمرا.. ومرتو صحّتها عم ترجع لورا
من التفكير.. وسوء التدبير
وما كانت تعرف كيف توقِّف عملو
بركي بيتغير عقلو
ففكرت بكيد النساء.. إلّي هوّ من بليسْ أكبر بلاء
بركي بوصِّلْها لحل ينفعها وينفعو
فقالتْ لنفسا: لازم تنزل بمخدعو
بدل شي وحدِةْ من عشيقاتو بركي بعملها بتنقذو
وغيَّرِتْ حلاَّسها.. وعطَّرت أنفاسها
وتنكرت بزي بنات الهوى بركي بتعجبو
وحطّتْ باروكة شقرا
وتغندرت ودهنت وشا بغير لون.. يمكن ساوِتْ حالها سمرا
وتغيَّر موديلها تمام
كأنها حورية بحر أو عروس بالأحلام
وفاتِتْ لمخدعو.. لحتى تسهر معو
وطار عقلو بجمالها
ولاطفها وداعبها لأخذ قرارو منها

وكان مروِّقْ كتير.. وكأنو بالقصر أمير
فقالْ لها: دخيلك لوعتيني
بلطفك وذوقك.. وبدلالك سحرتيني
بسّ ارفعي هالخمار.. ولا تتركيني محتار
فكشفتْ الخمار.. ليبان المستور
وقامِتْ الشعر العيرة والحمرة.. وإلي على عيونها النيلة
وانبهر جوزها ونط متل التور
وقالْ لها: هيك غشيتيني واستغفلتيني بالزور؟
وشو جابك لهون؟
وماعْطة حالك بمية لون ولون؟
وقالْ لها: شو عم تساوي هون يا حرمتي يا جدبة
قالتْ لو: أجيت لورجيك أنو النسوان طعمة وَحّدة
ولا تفكرني جدبة.. أنا قادرة ومقتدرة
شرب المي طعمتو وحدة.. بالكريستال وبالقدرة
فخرسْ جوزها بفرد خرسة
وصَفنْ صفنة
وهُو خجلان من حالو أنُّو صادر قدام مرتو قد الخنفسة
فقال لها جوزها: صدقت يا ملعونة
الله يخزي الحرام شو طعمتو طيبة
وسامحني يا رب ما عدت خون مرتي هالظبية.

١٧ الحماية والكنة

هالقصة فيها عبرة
ورح أسردها كلها بالمرة
كان من زمان ومن سالف العصر والأوان
رجَّال فقير ومنتوف
وبقولولو أبو رؤوف
وبشغلو ما لو مرزوق
وعندو حرمة خرج تنحط عالخازوق
من فعايلها الخسيسة لازم يكون اسمها بليسة
وكان شغلوا بوابيري..
ودوم يندب حظو ويقول يا تعتيري
وعلى قول المتل: إلّي «بيرافق الدست بيتشحَّر»
ودوم هالرجَّالْ مشحَّر ومشحَّم
ورح يصير وجهو مفحَّم
وكان مرضي ومعيِّش أمُّو معو
لأنو بلا أمُّو ورضاها ما في شي بينفعو
وكانت مرتو سلاَّلة ونمَّامة
وبقلب بيتها ما بتحسّ بالأمانة
وملعونة ومنحوسة
طالعة لأمّها هالجاموسة
وأمُّو لها لفاروق عايشة معو من تم ساكت
شو ما شافِتْ وشُّو ما عانت
ورغم هيك حرمة هالمرضي ما عم يعجبها العجب
ولمرتو ما عم يرضي ورح يصير لو ذنب
وظلّت تنقّ براسو
وتقولو يا أنا يا أمَّكْ
وعلى قولة: أمك ساوِتْ وأمك عمِلِتْ
أمك أكِلِتْ.. أمك شربتْ.. أمك قامِتْ
وهالرجَّال عم يكبر راسو
وعم يفقد شوي شوي لأمُّو إحساسو
وهي عم تقولْ لو: روح ودِّرْ أمَّك لشي وادي بعيد

وبعد جهد جهيد رضي هالعنيد
فقالِتْ لو مرتو: خود أمَّكْ سيران لشي برية
وقولْ لها: بدّي شمّمِكْ الهوا لوحدي أنا وياكي وبسرّ يّة
واقعد معها شوَيْ وغافلها وارجع عالحَيْ
وأوعك ترجع معك أمَّك ع البيت
والله بهدّ فوق راسك الحيط
فراح وأخد أمو هالمغضوب
لبستان بعيد مالو دروب
وقالْ لها: بدّي أعملْ لِكْ سيران مع ابنك المحبوب
وصارِتْ ترضى عليه وترضى على مرتو وولادو
وتدعيلو حتى ألله يحميه من حسَّادو
وقعد على المَدّة هو وأمو تحت شجرة الرمان
وقالْ لها: تسطَّحي يا أمي على رجلي وريّحي جسمك هالورمان
ولما غفلِتْ أمُّو
زحل راسها شوي شوي.. هرب وترك وراه همُّو
وصحيت أمُّو هالمسكينة
وما لقت ابنها جنبها هالحزينة
فصارت تقول لنفسها يمكن راح يقضي حاجة
هذا حبيب قلبي هالمرضي وانا ما رح أقلق أكثر حاجة
وتأخَّرْ ابنها وقرَّبْ يزحف الليل
وهي قاعدة تحت الشجرة بالميل
وعم تتلفت عليه وقلبها قلقان عليه
ولما عرفِتْ أنُّو تركها.. قالت: معليش
الله يرضى عليه والحياة مع مرتو بتدوِّش
ومضى يوم ويومين وزوَّادتها رح تخلص
ومرت ابنها قالت لنفسها: خلصنا منها ويمكن أكلتها الدياب
وإن شا الله ابنها ينساها
وبفراقو إلها يسلاها
وكانت الدنيا آخر الصيف وبلَّشْ البرد يزحف
ويصل لعندها ويوقف

فإجا الصيف وقالْ لها: يا حجّة شو رأيك فيني
قالتْ لو: يا حبيبي اسمك معروف الصيف للكيف
وشو حلوة مصايفك
والسيران على نهرك ومشاتلك ومساطبك
والسهرة بليلك والزيارات بنهارك
وشو متَّوعة خضرتك وفواكيك
أيه شو بدي اشرح وأوصف فيك؟
فقال لها الصيف: إن شا الله ما بتبردي ولا تشوّبي
ولا تجوعي ولا تعطشي
ولا تزعلي ولا تحزني
وكل ما بتحكي يطلع من تمّكْ ذهب وألماس
يبرق ويبهروا منه الناس
فأجا الشتا وقال لها: شو رأيِكْ فيني يا حزينة
فقالتْ لو: الله يديمك علينا
وبلاك ما بتسوى ليالينا
وشو مكنكِنْ ببردَكْ.. وشو حلوة شمستك
وبمطرك في رزقك
وصارت توصف فيه وصف لا بينعدّ ولا بينحصى
ويمكن من الحكي قلبها التعى
فقالْ لها: إن شا الله كل ما بتحكي ينزل من تمك ياقوت ومرجان
وينوّرْ عليكي بكل مكان
وأجا الخريف وقالْ لها: شو رأيكْ فيني ياحجّة
فقالِتْ لو: جَيْتكْ ما بدها حجة
بتنعرف من ريحة ترابك الندية
وقت بتنزل عليه أول مطرة بحنّيّة
وما أحلى رطوبة هواك متل عطر الزيتون
وصفار ورق شجرة الزيزفون
وما أجملك وقت بترطّبْ علينا بعد شمستك
وبتكون جافّة بيارك لتستقبل أمطارك
وبيقرّب أخوك الشتا بجيّتو الهنيّة ليملّي أنهارك

فقالْ لها: إن شا الله كل ما بتحكي بينزل من تمك كل الأحجار الكريمة
لأنُّو إلك نفس هنية
وأخلاق شئيمة
وأجا الربيع وقال لها: شو رأيك فيني يا نور عيني
قالتْ لو: يا حبيب قلبي ريحتك فايحة دوم بدربي
وشو حلو زهرك وخضرتك
والسمك بيكون عم يلعب بـ بركتك
وبساتينك الخضرة مع ورودها الحمرة
والسيران الحلو بفياتك
فقالْ لها: إن شا الله كل ما بتحكي بيطلع من تمك زمرد ولولو وما يقدر حدا يطولو
ومضوا بطريقهم
وكل ما عم تسبِّح ربها هالختيارة وترضى على ابنها هالمحتارة
يطلع من تمها هالجواهر وهالدرر تنتتر نتر
وملت حواليها المكان مع الورد وريحة الزهر والريحان
ومضت أيام وأيام
فقالت حرمة ابنها النعيان:
روح لعند أمك استفقدها لنشوف مين افترسها
شي ضبع ولاَّ ديب زعران
ولاَّ شي كلب جربان
وهو كان عم يقول بنفسو: لروح استفقد أمي هالمظلومة
شو صار فيها وشو عملت أنا فيها هالحنونة
وقصد البرِّية وراح، ولما وصل لأول طريق أمو
شم ريحة ذكية عم تجي من يمو
وركض لحتى شاف أمو قاعدة تحت الشجرة
كأنها أميرة أو ملكة قاعدة بالمنضرة
وحَوَليها زهور وريحان
وجواهر وأحجار كريمة ودرر من كل الألوان
وشافتو وقالت لو:
الله يرضى عليك وعلى اسمك
ليش تأخرت عليِّ يا بعد عيني

وليش نحفان ومتغيِّر كسمك
فصار يبكي بين إيديها ويقول لها: سامحيني
ويترجَّاها ترجع ويشدَّا من أوعيها ويقُلْلها: ارحميني
وحمل أمو والجواهر طبعاً صارت معو
وراح ع البيت إلي فيه حرمتو أم قويق
ولما شافِتْ هالشوفة مرتو
شهقت وركضت لجنبو
وقالت: أهلين وسهلين بالحامل والمحمول
وهمست بأذن جوزها وقالت لو: منين أمك جابت هالجواهر
وماشية فيهم بالطول والعرض
لولو ومرجان إي والله شي للجنان
فحكى لها القصة من أولها لآخرها
فقالتْ لو هاللعينة: إي روح خود أمي وطيِّب خاطرها
وكانت أمها أمرّ منها
داهية وقوية ولسانها مسحوب منها هالتَّورية
فراح هالرجَّال لينفِّذْ ما قالت لو بالحال.
أحسنْ ما الهمّ يطمُّو
وما يسلم من لسانها هوِّ وأمُّو
وصل لعند حماتو وقال لها: تعالي لآخدك سيران
فقالتْ لو: ولي على قامتك إيمتى كنت تستفقدني
وعلى السيران تواعدني
وهيك بدنا نروح بلا زوَّادة؟
ريتك تضرب شو بخيل على هالعادة
المهم أخد لها زوَّادة وراحوا عالبرية
وقال لحالو: بركي بتصيبها شي بلية
وقعدوا تحت شجرة الرمان
ليتسايروا ويأكلو كمان
فقالتْ لو: ولي على قامتك على هالسيران المبهدل
مالي شايفة لا لحمة ولا مَتْقَلْ
غير شوية حشيش

إلّي ريتو يركب براسك بليس
فقالْ لها: يا حماتي على ركبتي حطي راسك
بركي بتريحي شوَيْ جنابك.. وبتشوفيني بمنامك
فقالتْ لو: روح تضرب على هالفخاد المعرقبة
متل بواري الصوبيا المطعوّجِة
المهمَّ تسطّحِتْ لغفِلتْ
وغافلْها الرجّال وراح بحال سبيلو
صحيتْ بعد شوَيْ. عطشانة بدها تشرب مي
فقالتْ: وينك يا أبو فاروق يا جوز بنتي المدلوق
الله ينتقم متّكْ تركتّني وهربت
يا ريتكْ بشي تربة لزقتْ
وهيِّ عم تنخانق وتنادي وتشوبر وتعّيْط وتسبّ
طلعْ لها الصيف مثل الشَّبْ
وقالْ لها: يا حَجّة شو رأيكْ بالصيف؟
فقالتْ لو: ولي على قامتك وقامة دَبَقَكْ وشوبَكْ وشمسكْ الحدّة
إي ألله يهدّكْ بشي مهدّةْ
فقال لها: إن شا الله تبردي وتشوّبي وتجوعي وتعطشي
وكل ما تحكي تفسّي وتضرطي وتنفّي وتعطسي
قالتْ لو: إي روح تضرب شو يومك طويل وبتعمل من الصاحي عليل وبتنشّفْ الزرع والمي
وبينشفْ ريقنا كل شوَيّ
فأجاها الشتا وقال لها: يا حَجّة شو رأيكْ فيني
قالتْ لو: تضربْ أنتِ وجقجقتكْ بالمَيْ
كل يوم مَزْريب وكل نهارك فَيْ
وشمستك بتشوف حالها ولا بتدفينا ولا على بالها
وكلّك شحّار وتعتير وبرد وزمهرير
وبيظلّ على المنشر مندّي الغسيل
ريتك تعلّقْ بشي زير وما يلتقى لَكْ تدبير
قالْ لها: إن شا الله كل ما يتحكي يطلع من تمك زبد وبَرَغيتْ وحشرات ونملْ وصرصير وعرتيلات

وبعدها أجا الربيع وقال لها: شو رأيكِ يا حَجَّة فيني
قالتْ لو: شو بدي احكي عن حالك
كلَّكْ تحسس من غبرة زهرك
وبيصير لي عطيس إذا قعدت جنب نهرك
والصراحة غليظ وسئيل
وأنا ما بحب زهرَكْ عليِّ يميل
فقالْ لها: إن شا الله كل ما بتحكي ينط من تمك دود وصيبان ونمل دبلان.
وبعدين أجا الخريف
وقالْ لها: شو رأيكِ يا حَجَّة فيني
فقالتْ: ولي على قامتكُنْ شبكَنْ دبقتوني
يا فصول السنة المكربة وبسؤالكم علقْتوني
وأنت يا خريف وسخكْ بيتعبَّى بشليف
من ورق الشجر
وكلك غبرة وعفرة بالمختصر
وبيضل نهارك وليلك يتقلب بين صحو وغيم
كأنو الواحد راكبْ ترين
فقالْ لها: إن شا الله كل ما بتحكي يطلع من تمك غبرة ودخَّان وشحَّار وفيكي الحكيم يحتار
وصار حولها وحواليها الضراط والفسه
والريحة البشعة من الصبح للعشي
المهم بعد كم يوم:
قالتْ مرتو لأبو فاروق روح جيب أمي بجواهرها ومالها
وأوعك تجيبها بدونهن ولحالها
ومتل ما صار عند أمك
بيصير عند أمي يا دلَّكْ
وراح هالرجَّال وقبل ما يصِلْ لتم البرية
حس بالبلية
من الريحة الفايحة والحشرات السارحة
وقت وصِلْ لعند حماتو
قالتْ لو: الله ينتقم متَّكْ

تركتني وهربت لعند أمَّكْ
يخرب بيتك على هالسيران
وتقرصك حية بسبع شطَلات لحتى تموت بلحظات
وهالريحة وهالغبرة والوسخ عم يطلع من تمها بالكومات
فقالْ لها: الله بعتلك على هواكِ
ريتك تقلبي على قفاك
وتركها ورجع لعند مرتو
وقالْ لها: إنتِ طالقْ بالتلاتة
لأنُّو: طبّ الجرَّة على تمّها، بتطلع البنت لأمّها

السمكة ١٨

كان من قديم الزمان..
تاجر جْمَال.. وعندو حَوَريف كمان
وكان عايش بعربين..
وتجارتو كبيرة.. من الشام لدوما ولحتى عين منين
وكان تاجر شاطر..
وببيتو عادل..
وآخر الليل بيقرا سورة فاطر
وعندو حرمة ست بيت راكزة..
وكان اسمها فايزة
وكانت نظيفة ومرتبة ومسايرة كتير
وجوزها حظو حلو منها وعايش عيشة الأمير
لأنو شو ما قالْ لها بتنفذ ع الفور..
ولو كان معصِّبْ أو متل التور
وحتى لو جوزها خار متل التيس أو الحمار
وجنبو ساكن المختار
كان عندو حرمة يا لطيف شو قوية
بتخلى لها بلاد.. وبتخاف منها الحية
وهذا المختار كان عرفان حظ هالتاجر من مرتو
وكان يغار منو ومن حالتو.. ويتحسر على حالتو
ومرة من ذات المرات، هو وجارو قاعدين بالقهوة
عم يسمعوا الحكواتي أبو فروة
قال المختار لجارو التاجر:
لك دخيلك أنا ما بسمع خناق ببيتكم ولا عم تتجادلوا
ولا عم تعيِّطوا ولا عم تتضاربوا
والنسوان يا جاري قادرات وملعونات.. وكيدهن أكتر من كيد بليس
فكيف ماشي مع مرتك يا خسيس؟
قال لو التاجر: بالعكس تمام.. مرتي ما في متلها بالأحلام
ومرتي متل النسمة.. وما بتردّلي كلمة
وشو ما طلبت منها.. بيحضر قبل منها
يعني شبِّيكْ لبِّيكْ.. حرمتك بين إيديك

وقد ما خانقتها ما بتزعل وما بتنوِربْ
يعني بالمختصر حرمتي منيحة..
مشان هيك ما بتشم من بيتي ريحة
فقال لو المختار: غلطان يا جار غلطان
يمكنْ إنتِ مساير كمان
النسوان متل فرط الزيتون والرمان
ما بيجوا إلا بالعصر.. الصبح والضهر والعصر
وإذا علقْتْ بوحدة منهن..
بتلاقيها كشَّرِتْ عن أنيابها ولوَّعتك بسمهُنْ
اسألني أنا يا جار.. أنا فيهن طول عمري محتار
الخلاصة، أصبح التحدّي بينهن
فقالْ لو المختار: أنا عندي خيار
وفكرة يمكن ترضيكْ..
وتثبت لك كلامي حتى تشوف الحقيقة وتشفيكْ..
جرِّبْها وشوف شو بدُّو يصير فيكْ
فقال الجار التاجر: بكرة وقت بتروح على شغلَكْ
مروق على سوق السمك.. واختار على مهلك سمكة تكون كبيرة
وابعتلا ياها مع صانعَكْ
بدون ما تقول لها كيفْ تطبخْها
وقتْ بترجَعْ ع البيتْ عجِّزها
ولا يعجَبكْ شي حتى لو كانِتْ هلكانِةْ بطبخْها
المهم ما تعجبك الطبخة شو ما كانت عاملتها بمطبخها
وخليك عم تتنكَّتْ وتتذمَّرْ
لحتى يطلَعْ خلقْها عليكْ.. وهيِّ عمْ تتمرمر
وتكشّرْ عن أنيابْها وفعايلْها تتكشَّرْ
المهم وافق التاجر على هالحيلة إلي ح يجرِّبْها مع هالجميلة
وليشوف مرتو عليه بتنقلِبْ
والغضب منها عليه بينسكِبْ
فراح تاني يوم واشترى السمكة
وبعْتها مع صانعو أبو حسكة

ليشوف بالمسا وقت بيرجع شو القفلة
وصَّلْ هالصانعْ السمكة.. وعطاها لمعلمتو بدون حركة
احتارت هالحرمة شوبدها تساوي بالسمكة
تشويها ولاَّ تقليها.. ولاَّ تسلقها ولا تسْلِيها
فقالِتْ لنفسا: حتى أرضي جوزي مارح ساويها متل الأوزي
رح قطّعها كم قطعة.. وقسّمها كم طبخة
فشي قلِيُّه.. وشي شوِتُه.. وشي سلقتُّه.. وشي عملته مع رز
وكل قطعة لتستوي عملتها حز
يعني حزَّزتها.. وبالمطبخ حضَّرتها
وقامِتْ تعشّي ابنها الصغير.. فقالْ لها ابنها: بدي نونو
فحطّتْ ابنها ع النونو.. ليعمل الكبيرة عليها
فتح الباب جوزها.. ومشان ما ينزعج من ريحة الولد الصغير..
دفِشّت النونية تحت السرير
وقامت شطَّفِتْ ابنها.. واستقبلت جوزها بالأهلا والسهلا
ومطرح ما قعدت بالقلب والحشا
ومطرح ما نظرت إنت جوا العين كحلى
فقال لها الرجَّال، والعقدة بين عينيه: شو طبختِ يا حرمة؟
قالتْ لو: تقبرني، السمكة إلّي بعتا، ومعليش لا تشكرني
وقامِتْ وجابتْ لو المشوية..
فقالْ لها: ما بدي مشويّة.. وبصوت عالي ونبرة قويّة..
وهوّ قاعد ع السرير.. وهي جالسة تحت رجليه كأنها جارية للأمير
ركضت بسرعة.. وجابت لو المقلية
قالْ لها: ما بدي مقلية.. يا سئيلة
ركضت بسرعة وجابت لو المطبوخة بالرز
فقالْ لها: ما بدي برز.. وبَدَني متّكْ رح يفرّ
ركضتْ بسرعة.. وقالتْ لو: تقبر عضامي، خود هَيّ محشيّة
قالْ لها: ما بدّي محشيّة.. شو ما عملت غيرها؟!
قيميها من خلقتي أحسن ما أدمّسِكْ«١» قتلة قوية
ركضت وجابت لو المسلوقة بالبرغُلْ..
قالْ لها ما بدي اتسمَّمْ.. بعَّدي عني رح أسعُلْ

وما بدي اتغدَّى ولا انضرِبْ
قالتْ لو: شو بُدّك يا بعد عمري حتى ما تتكرب
شو بدَّكْ تاكل يا روح فوزية
لجيبْ لكْ بالحال أكلة هنية
شبَكْ غضبان يا فلان؟!
وإذا ما عجبك الأكلْ.. قلْ لي لكبو بالسطل
وقلْ لي شو بدك تاكل يا بدر ويا قمر
قالْ لها: بدي آكل خرا على هالخبر
فمدَّتْ إيدها عالفور تحت السرير هالفوزيَّةْ وطلَّعِتْ النونية
قالتْ لو: تفضَّلْ يا بعد عمري.. أنت بتأمر أمر
فهوَّ من كثرْ ما خجِلْ بحالو.. وعلى قد ما زادِتْ بدلالو..
قالْ لها: تقبرني كل النسوان لأجلِكْ
ساويتيني قد الفجلة بنظرك
وبحبَّكْ من فوقِكْ لتحتِكْ
ولو عملتيني بغلِك

«١» أدمسك: أضربك

١٩ الرسالة

إخواني القراء.
رح أسرد لكم حكاية بما فيها من سرَّاء وضرَّاء
عن صبية مستورة
اسمها إلهام الأمورة
كان في حرمة صبية من العين محروسة
وكانت ساكنة بـ بيت عربي بكفرسوسة
وعايشة هيِّ وأمها وحيدتين
وكانوا فقرا ونص أكلهن بالدين
ومأجّرين أوضة بالمشرَقة
لأستاذ مدرسة درويش
وألو زمان بالتدريس
والأم بتشتغل لفَّاية من الصبح للعصر
والبنت بتخيِّط عبي أحمر وأزرق وزهر
وكل يومين بتودِّيهن للمعلم أبو وحيد
وبتجيب غيرهن لتخيطهُنّ من جديد
وكانت هالصبية عادية
فيها شوية جمال
بس الفقر والتعب إلِّي عايشة فيه
خلَّى لونها باهت ووشها نضارة ما فيه
وكانت عيونها دبلانة
ودوم بتشوفها عدمانة
وهيئتها متل الشحادين
لأنُّو تيابها مهريِّين وإيديها خشنين
وما كان حدا يتألَّتها
ولا يطلَّع فيها ولا ينتكشها
ولا يحس فيها إن مرقت من حدُّو
وكأنو كل رجَّال بتمرق من جنبو عيون ما عندو
وصحيح كانت ساكتة ورضيانة
وعلى حالها حزنانة
وهمّ شبابها المنسي هكلانة

بس كانت تحلم.. تحلم كتير
لتهرُبْ من عيشة التعتير
فكانت تحلم بأجير الفران أنو بيحبها
وبيتمنَّى وصالها وقربها
وأجير الخضري أنو تحركَشْها
وبكلمة حلوة ناغشها
والعربجي عم يطَّلَعْ فيها
ويمكن حاطط عينو عليها
وكانت تتمنَّى تلاقي وليف
يقاسمها همها ويقسم معها هالرغيف
وكان في فرَّان عندو فرن جنب بناية المعلَّمْ تبع العبي
وكان هالفران سهيان
وكانت بتشوفو كل ما ودِّتْ الشغل
وبتمشي قدامو على مهل
بس هو ما كان حاسس فيها
وهيِّ كانِتْ عم تحلم يطَّلَّعْ بعينيها
وكانت تحلم أنو حاكاها
وتدّعي لربها إلِّي بَراها
أنو يبعث لها بشي مرسال
ويحكي لها عن عواطفو ويسألها كيف الحال
وتتمنى أنو شي مرة ينادمها
وبنظرة وبهمسة يناغشها
وزاد همها
وقت طنشها ابن عمها
وخطب وحدة غريبة عن دمها
وقالت لأمها:
شبّني أنا؟ من شو بشكي؟
فقالتْ لها أمها: هذا قسمة ونصيب يا بنتي لا تبكي
وتاني يوم
فكِّرتْ تكتب رسالة لحبيبها

إلي رسمتو بخيالها
فطلعِتْ لعند جارهن الأستاذ
وقالتْ لو: بدي أطلب منك طلب
وأنا مترددة لها لسبب
بدي تكتب لي رسالة حب
وأنا دبِّيتلك طلبي متل الدب
ومن طلبي أنا محتارة
وملبَّكِةْ وقدَّامك حاسة حالي متل الفارة
فقالْ لها الأستاذ: لا تحتاري
بس لمين بدّكْ أكتب لِكْ هالرسالة
فقالتْ لو: الله يجبر خاطرَكْ أنتِ اكتبها واترك محل الاسم فاضي
بس اشرحْ لي فيها عن حبي وعواطفي ودادي
وعن شوقي ولهفتي
لقابل حبيب مهجتي
وعن أمنياتي بالزواج فيه
واكتبها بلهجة كأني عم ناجيه
واكتب عن أمنيتي أنُّو يجي يخطبني متل كل البنات
وعيش معو بثبات ونبات
فوافق جارهن المرضي
وكتبْ لها إلِّي بيرضي
وأخدت هالرسالة منو وحطتها بظرف
وقلبها عم يلهَفْ لهفْ
وهي رايحة لتودِّي شغل العبي للتاجر
نزَّلْها الباص جنب الفرَّان إلِّي كان عم يزق الطحين والشغل
وفكَّرتْ تزت لو الرسالة
بس فكَّرتْ وتردَّدِتْ على مهل
وصلِتْ لعند التاجر لتعطيه الشغل
وفكرت تدحش الرسالة بشي مكان هيك أجاها خاطر
واستعجلها بالحكي هالتاجر
وعطاها العبي وحمَّلها ياهن حَمْل

وقالْ لها: روحي يالله عندي شغلْ
ومرقت بطريقها لبقالية شفيق
وقالتْ لنفسها: لأشرب كاسة ليمون وبل هالريق
وفكَّرتْ ترميها عندو
فلقِتْ البيَّاع موهون وما في حدا عندو
ورجعت ع البيت منكسرة.. وعلى حالها منقهرة
وتاني يوم قالت رح حطّها بصندوق البريد
لأي عابر طريق
واكتب عنواني عليها
بلكي بيجي نصيبي وبصير عندي رفيق
وحطّتها بصندوق البريد
وبعد يومين كتب لها رسالة تانية وتالتة ورابعة وعاشرة
وما في ردّ
وتحطهم بصندوق البريد
لعلَّ وعسى يجيها الحبيب
وكل يوم يمضي عليها يزيد همّها
وفي يوم من الأيام قاعدة عمّ تخيِّط العبي بأرض الدار
وأمها ما كانِتْ بالبيتْ
كانت رايحة عمّ تبارِكْ لإبن عمها الحمار
فاندق باب الدار
وركضت فتحت فلقت ساعي البريد ومعو أخبار
وقالْ لها: مين اسمو إلهام، في رسالة إلها
قالتْ: أنا، وخطفت الرسالة من إيدو متل الديب وقت بيخطف فريستو
وترسِتْ البابْ
وفاتِتْ لأوضتها بسرعة لتقرا الرسالة إلي جابها ساعي البريد الحباب
وكان مكتوبْ فيها: حبيبتي ونور قلبي من زمان وأنا مستنّي
وصالِكْ وقربِكْ وهالفرصة أنا كنت متمني
وكنت كل ما شوفك تمرقي من جنبي
ينط من محلُّو قلبي
وأنا عم استنّى موافقتِكْ

لحتَّى أجي وأخطبك
ونعمل عيلة ونجيب ولاد
ونعيش بفرحة حلوة بهالبلاد
وطوِتْ الرسالة وحطّتها بعبّها
وغلبها النوم وصارِتْ تحلم وتحلم
وشافت الفِّران أنو حكى معها حكي غرام
وطلعت بالعربايةَ، وكان العربجي لطيف معها بالكلام
وصلِتْ للبقالية.. ونظر لها بعين قوية
وطلب منها موعد
وحسّتْ كأنّها هي ملكة وهالأجير هو أمير
وصحيت من أحلى حلم وقت أمها أجِتْ إلِّي ما عندها أي علم
فقالِتْ لها: شبِكْ نايمة وتاركة الشغل لَكْ بنتي
فقالِتْ: تعبت شَوَيْ غفيت على جنبي
وكان قلبها طاير من الفرح جوَّات الدار
ونوِتْ تفرّجي الرسالة للجار وتحكي لو علِّي صار
فاندق الباب بسرعة وراحت أمّها تفتح الباب
فكان ساعي البريد جاية ينبحّ
قال لها: دخيلك يا أختي هلأ أجيت وأعطيت الصبية رسالة بالغلط
فاسمحي لنا فيها أحسن ما فوت بالمشكل ويطعموني الزلط
فنادت لبنتها وقالت لها هالحكي
فصرخت البنت وقالت: لا لا الرسالة إلي
أجت إلي وما بعطيها لحدا
هَيْ عمري هَيْ أملي هي أجت إلي
هَيْ فرحتي هَيْ من حبيبي هَيْ أجت إلي أنا
وما بعطيها لحدا
فقالِتْ لها أمها: شو عدا ما بدا
لحتى تجيكي رسالة وأنتِ ما بيعرفِكْ حدا
فسمِعْ الجار الخنافة ونزِلْ ليشوف شو القصة
وأقنعْ البنت ترجّعْ الرسالة بعد جهد جهيد
وأخد الرسالة منها ومن عقلها هالعنيد

وأعطاها لساعي البريد
واعتذر منو ساعي البريد بأنو خربط بالإسم
وأنو الرسالة مو هي لـ إلهام
لبنت بالحارة التانية اسمها سهام
وتاني يوم، طلعت هالمقهورة
لعند جارهم عبدو شختورة
وقالتْ لو: بدي عذبك وأطلب منك تكتب لي رسالة رد
بدل إلي أخدها مني ساعي البريد.. إلي قلبو من حديد
قالْ لها: لمين بدّكْ تبعتيها؟
قالتْ لو: هَيْ إلّي لا تواخذني عليها مالو حدود
فقالْ لها: أنا مجّهزْ لِكْ الردّ.. ليكو بالدرجْ موجود
مخبَّا عندي ومحطوط
فتفاجَئِتْ إلهام وقالت لو: شو عرَّفَكْ أنُّو بدي رسالة رد
شو أنتِ حاسس فيني لهالحد
دخيلَكْ قرالي ياها ياجار الهنا
أنا عنَّكْ مالي غِنى
فصار يقرا لها الرسالة ويقولْ لها
أنا من زمان بدّي صارحِكْ بعواطفي وحبي
مو عطف عليكِ لا سمح الله أو ما تفهمي قصدي
وحطّ الرسالة ع المكتب
وكمل سرد رسالتو وعينو عليها عم تتطلَّعْ
وقالْ لها: بتمنَّى حط جبناتي على خبزاتِكْ
لتصيري أميرتي وصير شريك حياتِكْ
ولو أني أكبر منَّكْ شوي ودرويش بس أنا حبيتِكْ والله حْطَيْ
وأنا متل مالِكْ شايفة وحيد وأنتِ وحيدة
وبتمنَّى تقبليني كون جوزِكْ
وقَضّي عمري معِكْ وأنا محبوبك
وطوى الرسالة
وقالْ لها: إن شا الله فهمتي قصدي وفهمتيني
وبتمنَّى يا إلهام ما تصدّيني

فصارتْ تلمع عيونها من المفاجأة والفرحة
وتتخيَّلْ حالها معو حاطَّة الطرحة
وقالتْ ملات صوتها أجا نصيبي يا ناس
مالي مصدّقة شو حلو هالإحساس
أجا نصيبي
والله لطفْ فِيّ وبعتلي وَليفي
لك أنا مالي مصدّقة حالي
أنُّو الله لبَّى ندائي وما خيَّبْ رجائي
وبعتلي أطيَبْ رجَّال بحياتي
الشكر إلكْ يا ربي المعبود
أنتِ يا فرج القلوب
فرحتي لأنُّو مالها حدود
رح أشكرَكْ يا ربي طول حياتي ولحتَّى موت

٢٠ دربّية وفهميّة

كان من زمان بحارة من حارات الشام العتيقة
في أختين من الميدان هنّ درية وفهمية
وكانوا بصباهن متل زهر الرمان
وكانت درية أكبر من فهمية بسنتين
وكبروا وتجوزوا وتفرقوا بها لزمان
وجوَّزوا ولادهن وارتحموا رجالهن
وصاروا بحيطان السبعين
وكل وحدة عايشة لوحدها وما بيتقابلوا إلا كل حين ومين
وكل فترة وفترة ليشقّوا عليهُنّ ولادهُنّ
فقالت درية لأختها فهمية:
تعالي عيشي معي لك أختي؟ واسكني عندي
لحطّك بقلبي وعيوني
وكلمتي اسمعي أحسن ما يشرّ مدمعي
وحتى ما أهكل همّك وتهكلي همي
فسمعت فهمية كلام أختها هالمنظومة
أحسن من شوفتها تكون محرومة
وعاشوا مع بعضهن البعض
يوم طويل ويوم قصير
ويوم على ريش نعام ويوم عالحصير
وكان بـ بيتهن في تقويم للأيام
معلّق قفا باب الدار
ومدقوق ببسمار
ومعو مؤقت زمني أي ساعة رقمية كل ٢٤ ساعة
بتهرّ منو ورقة اليوم إلّي مضى وبتنزل بدرجو
إلّي ملزوق بسفلو
وكل يوم آخر النهار بتاخد فهمية هالورقة
وبتقولّ لها لأختها: هي ورقة شجرتي هرّتْ اليوم
وأختها بتقول لها يا ويلي ويا قهرتي
على شبابنا إلّي زحف وهرب من أيامنا
وأخد معو الألوان من حياتنا

وتركها سودة وبيضة وباهتة أحلامنا
فقالت أختها أي حاجة نوح على إلّي مضى
إي عمر وانقضى
فقالت لها أختها: دخلك موشايفة أنو الولاد
ألهم كم يوم ما مروا يَمْنا
ولا سألوا عنا
تاركيتا متل الخرقة المزرية
أو كأننا غصن يبسان ونشفان بمزهرية
ولا حدا نكشنا بكلمة شلون«١»
ولا تحركشنا من هون وهون
فقالتْ لها درية: لك يصطفلوا يا فهمية
ملهيين بمشاكلهم، المهم عايشين عيشة هنية
فقالتْ لها أختها: إي قومي قومي لنعمل لقمة ناكلها نسند خاصرتنا فيها
وخلّينا ننسى الماضي ونبقى بحاضرنا، ما بفيد الحكي الفاضي
وقاموا على المطبخ وعملوا فول بزيت
وفتوش من الخضرة الموجودة بالبيت
وتغدوا هنّ ساكتين يمكن زعلانين
أو يمكن حزينيين
ومدري شو صار لهن ما عاد ألهن حيل حتى يجلو جليات الغدا
حطو الأكل متل ما هو ع المجلى
وقالت درية لفهمية: قومي نتسطّح بهالتخت ونعمل قيلولة
لأني حاسة جسمي متل التالولة
فقالت درية: وأنا كمان حاسة جسمي عدمان ومو حسنان
لك ليكون قربت ساعتنا لك أختي.
فقالت أختها: عمر الشقي بقي تضربي على هالحكي
وحاجة تلّبي بلا فائدة لَبِي
وتسطّحوا بالتخت
فقالت لها درية كأنها مستحية
ليش لك أختي الأم ما بتموت
فقالتْ لها: إي تضربي بهالتمّ إلي متل الكوت اسكتي ونامي

لحتى ريح عضامي
فقالتْ أختها: تعالي نعمل حالنا أنو متنا
بركي أجو ولادنا ونحنا نايمين
فقالتْ لها: إي بيفكّرونا متنا وبيرتعبو شوي علينا بركي بيحسو فينا
وما بيعودوا بينسونا
وضلُّوا يحكوا من هالحكي
وناموا بعد ما شبعوا بكي
فقامت درية وكأنها مرعوبة أو مبلية
عملت هيك عالساعة فلقتها سبعة الصبح
فقالتْ لنفسها: ولي راح عليِّ باص المدرسة
وقامت لتركض تفيِّق الولاد، جسمها ما ساعدها
فتنبه عقلها أنو فاقت من منام وزعلت وما حدا واساها
وتذكَّرت أنُّو كان زمان ولَّى وأنها صارت ختيارة
ولا عاد في ولاد ولا مدارس ولاشي يا خسارة
فانتبهتْ وقالت لنفسها بصوت عالي لهلأ نايمين والساعة ٧ الصبح وارتعبت واندارت
على أختها لتفيِّقها
وقالتْ: ولي لتكون ماتِتْ من حقا، ولي ما حدا بينفعها.
وهزتها بقوة وقالت لها قومي يا حلوة قومي
لك قومي يا روحي وباقي من عمري
قومي قبل ما يصير لي شي وينكسر ضهري
أوعك تكوني تركتيني ورحتي
فصحِيتْ أختها وقالتْ لها: شبِكْ لك أختي شبِكْ
عم تعيِّطي وتنطِّي متل القرد
قالتْ لها: قومي نشرب القهوة صارت الدنيا الصبح
لأنو نمنا من مبارح العصر لـ اليوم الصبح للأسف
فقالتْ لها: ولي إي شو نومة أهل الكهف؟!
بعمرنا ما تأخَّرنا بالنوم هيك، أي رحْ يهرّ علينا السقف
فقالت لها أختها: من كتر ما بكينا وسقِّينا
منيح إلِّي نمنا وما بيشي معرض انبلينا
فقالتْ لها: إي قومي لنشرب فنجان قهوة وبصِّرْلِكْ بالفنجان يا حياتي متل أيام زمان

وشفلك بختك هالعدمان
فقاموا عم يتسنَّدوا على بعضهن البعض
الإيد بالإيد والركبة بالركبة
كأنهن آكلين مية قتلة
وفاتوا على المطبخ لتحط درية القهوة على النار
فاندارت فهمية وشهقت كأنها شافت إبليس بقمباز
وقالتْ لأختها: شوفي لَكْ أختي كأنك شفتيني بلا لباس
فقالتْ لها أختها: شوفي الأكل كيف يبسان ونشفان كأنو متروك من جمعة
لَكْ تعي شوفيه تجيكي لبعة
فقالتْ لها: إي ما حلُّو من مبارح العصر.. ينشف ويبس لـ اليوم قبل الظهر
والفول مقرمِدْ قرمَدِةْ
وخضرة الفنُّوش مقدقْدِةْ قَدْقَدِةْ
فقالتْ أختها: هلأْ تعالي نشرب القهوة
بغرفة القعدة
وراحوا وحطت فهمية ع الطاولة الصغيرة الصينية
وتفاجئت وقالتْ لأختها: شوفي هالغبرة إلي ع الطاولة
كأنها مو ممسوحة بالمرة
يا أما أنتِ عم تشتغلي متل السخرة
فقالتْ لها درّية: إي بلا جدبة مو شايفتيها هالسمكْ سمكها هالغبرة؟
كأنها ما نمسحِتْ أبداً يا بقرة
فخافت فهمية وركضت عينها ع التقويم
مبهوتة ومشيِتْ كأنها بالتنويم
وفتحت درج التقويم
فلقت فيه ٤ ورقات هارّين ونازلين
فشهقِتْ من الرعبة وقالت: يا رب العالمين
مبارح أنا قمت الورقة
وشافت التاريخ وطار عقلها للمريخ
وعرفت أنهُنْ ناموا ٤ تيام
فقالتْ لأختها: تصوَّري يا أختي نمنا ٤ تيام
متل أهل الكهف كأنُّو هذا الشي بالأحلام

فقالتْ لها أختها: كيف لَكْ أختي لا أكلنا ولا شربنا كيف ما متنا؟!
فقالتْ لها: مهشّي شربت ٣ كاسات مي
وشكرت ربي وقلت حي
فقالِتْ لها فهمية: المشكلة مو شو كنَّا ميتين ولاَّ عايشين
المشكلة، ما حدا دق بابنا من ٤ تيام
ولا سألوا عنَّا ولادنا
ويمكن ما شافونا بالمنام
أخص على هيك ولاد
يا حوينة التربية
كأننا ربينا حربية
كان أحسن لو ربِّينا قطة او معزاية
فقالتْ لها أختها: يا حوينة خوفنا عليهن وقت غيابهن
وزعلنا عالمرضان
وقلقنا عالزعلان
ومراضاة الحردان
فقالتْ التانية: يا حوينة ما فَتينا عمرنا بالهمّ عليهن
هذا نجحْ وهذا رسَبْ
وهذا اشتغل وهذا ترك الشغل
وهذا انبسط وهذا اتجوَّزْ
وهذا مرتو قوية، وهَيْ جابتلو البنت مو الولد
وهذا كبروا ولادو. وما معو مصاري لبرَّادو
فقالتْ فهمية: يا حوينة كم مرة قوم من فرشتي لغطِّيهُنْ
وردّ قوم لأسقيهن
واتعب وأنا عم داريهن
وضلُّوا يحكوا ويبكوا
ويرضوا على ولادهن
ويزيدوا الرضا على أحفادهن
فقالتْ لها درّية: معليش يا أختي
الدنيا لهو وهنْ التهوا عنا
يا أما ملُّوا منا

والله يا أختي هَيْ ستّة الكون إجباري علينا
فقالتْ لها فهمية:
أتارينا متل الحمامة حَضَتَّا ولادنا لوقت محدود
وطاروا لكبروا
هيك بدو الرب المعبود
وهالدنيا والحياة ما فيها ثبات
فحاجة نبكي ونشكي متل البنات
ما رح يتغيَّرْ شي فينا
المهم فشّينا قهرنا بكم دمعة من عينينا
فقالتْ أختها:
قومي لَكْ أختي لنرجع نتمدد عالتخت
بركي هلأ بيجوا
أكيد علينا رح يسألوا
فقاموا ها لأختين واتسطّحوا وهنّ مقهورين على حالهن والدنيا سودا قدامهن
فقالتْ درية لأختها فهمية:
لَكْ لنقوم نموت هالمرة من حقا
ولا حدا يدرى فينا
وتطلع ريحتنا من أواعينا
فقالت التانية: دخيلِكْ يا أختي لا تروحي وتتركيني
والله بتطقّ مرارتي لازم معك تاخديني
يا أمَّا تعالي نضلّ صحيانين
بركي أجو هالمرضيين
ع الأقل منودعهن
وعيونًا وروحنا بتشبع منهن
فقالتْ لها أختها:
لا تخافي إذا كنا ميتين روحنا بتحس فيهن
وبيجوا ليودعونا قبل ما يدفنونا
فقالت لها:
إيه تضربي على هالحكي السئيل
حَكّيلِكْ متل دَبَّات رجل الفيل

كأنو عم يستنّانا عزرائيل
تعالي ننام
بركي منشوفهن بالأحلام
المهم: ناموا ها لأختين
وفكّروا حالهن ناموا
أتاريهن فعلاً ماتوا.

«١» شلون: كيف حالك.

٢١

العين بالعين

كان من قديم الزمان
بيَّاع قماش يعني تاجر مال فاتورة
هيك بيقولوا بهذا الأوان ومن زمان
وكان تاجر مهم بسوق تفضَّلي يا ست
يعني بيَّاع قماش للنسوان
بعدة أشكال وألوان
وهالتاجر كان شاطر
وألله فاتحها عليه ع التمام
ومن الصبح حتى المساء بيضلّ بدكَّانو وبيرجع بالليل على بيتو لينام
ومرتو بتبعتلو بالسفرطاس الغدا
وبتتغدَّى لوحدها وما معها حدا
وكان عندو صانع أجدب وعلى نياتو ومالو محظوظ
وكان أسمو عزوز
وكان هالتاجر صاحب دِين وبيخاف من الله كتير
وكان اسمو بشير
وهو من عيلة أكابر من العمارة
ومرتو حلوة كتير ومن بيت سحَّارة
واسمها لطفية
وكانت حلوة ومهيوبة ومالا مزرية
ونظيفة وست بيت راكزة
وبتضل تشتغل بـ بيتها لو كانت مريضة أو ع العكازة
المهم ويوم من الأيام وبلا طول سيرة يا مرحوم البَيّ
قالّ لها جوزها: قبل ما يروح على شغلو وتمطَّى وشرب القهوة وقبل ما يفرّ
قال لها: اليوم اطبخي لنا ملوخية ورز
ورح ابعت لك مع العادة صانعي عزُّوز
أعطيه السفرطاس«١» وحمليه المي الباردة بالكوز
فقالتّ لو: بتأمر أمر على الراس والعين
وشو ما بدك اطلب يا زين
وقصد الله هالبشير
وراح على شغلو كأنُّو وزير

وهو بالمحل واقف وعم يضبضب القماش المفرود
فاتت لعندو صبية ممشوقة القد
لافّة عليها عبايتها
ومغطية وجهها بملايتها
ومومبين إلا عيونها وكانت عيونها كبار وسود
متل عيون الأسود
بتخطف الأبصار.. وتغزل غزل كأنها قمر من القمار
ولما شافها التاجر بشير
زاغ بصرو وعقلو من راسو رح يطير
ونشف ريقو وما عاد انبلع
وقال لنفسو: سبحاق الخالق إلّي كَوَّنْ وصوَّرْ وخلق
إذا العيون هيك كيف لكان باقي وجهها
أكيد بيسبي سبي تمها
الخلاصة: كأنو عديم وقع بسلة تين
وقرَّبْت صوبو وقالت لو بصوت ناعم بيحرك المشاعر الجامدة وبيصحّي العليل وبيقيم الناس النايمة:
بدي قماش حرير أنعم من خد الولد الصغير
فقالْ لها: بتأمري أمر
اشرطي واطلبي من المساء للفجر
فوتي ع المخزن لجوا
لحتى تشوفي كل القماش الجديد بالمرا
وهلاْ بفرد لك شو بتستحلي
وبضيّفك قهوة ومحلّي
وقبل ما يلحقها لجوا
صرف صانعو الأجدب لبرَّا
وقالْ لو: روح ع البيت لعند معلمتك جيب الغدا بالسفرطاس
لأني جعت ورح يبلّش فيني وجع هالراس
وراح عزُّوز
ليجيب الغدا والمي بالكوز«٢»
وركض التاجر لجوا بلمح البصر

للمخزن ليشوف وش الصبية بالمختصر
وكانت راخية العباية
وقايمة من على وجهها الملاية
وعم تتفرج ع القماش، وكان وجهها متل القمر بليلة تمامو
وهو من هالشوفة ما تحمل حالو
وزخو العرق من راسو لمداسو
وهجم عليها متل التور
وعبطها عبط ع الفور
فقالتْ لو: دخيلك أنا مو من إياهن، شو قلبك مو دليلك؟
لا تلمسني دخيلك وبعَمْلتك لا تفضحني
دخيلك يا زين الشباب
لا تفتح عليَّ الباب
فقالْ لها: اشتهيتك وبنفسي لقيتك
فقالتْ: ليش ما عندك ولايا
يستر على حريماتك
اتركني ولا تضرّني وأنا مو وحدة من جارياتك
أنا وحدة مستورة
اتركني أحسن ما لمّ عليك المعمورة
ومشان حريماتك وإيدي بزنارك
خلّيني اطلع من محلّكْ ومن مطرحك
دخيلك اعتقني من مسرحك
وصارت تبكي وتتوسَّلْ
فصحي على حالو، وكأنو شربان حشيشة معسل
وقالْ لها التاجر:
لا تواخذيني يا أختي سيطر عليَّ الشيطان الشاطر
وتركها وقالْ لها امشي بطريقك وسامحيني على قلة أدبي وقلة تدبيري
والله موقصدي، جمالِكْ أسرني ونسَّاني ربي
وتركها تروح بحال سبيلها وهو عم يسبّ حالو على عَمْلتو
ومضى يومو بالدكّان مكركب ومشغول البال
وما بيعرف شو إلي جرى لو وهوّ عم يسأل هالسؤال لحالو

وتغدّى مع صانعو عرُّوز
وحتى صانعو كان ملبَّكْ
يمكن حاسس عليه أو عاملُّو شي عملِةْ وعقلو مشربك
وتغدوا مع بعض بدون نفس.
ومضى النهار ورجع على البيت ليندفس دفس
فات على بيتو هالتاجر
فشاف مرتو عم تبكي وتندُبْ
فقالْ لها شبِكْ عم تنطّي مثل الجندب
فقالتْ لو:
تعال شوف شو ساوى صانعك الأجدب عرُّوز
وقت أجا ياخد السفرطاس والكوز
هجم عليِّ متل التور الهائج
وأنا عم بعطيه الأكل
عبطني بين إيديه عبط
وكأنُّو عم يخنقني أو يغتصبني بالظبط
وضربتو وقلعتو
وبرات البيت الغدا شلفتو
إي مو كان ناقصني غير الهبلان
شو كان عمل لو ما كان من الجدبان
لك شو جرى لو
وشو إلِّي غيَّر حالو
كأنو واحد تاني
والله كنت رح أفرمو بسناني
لا بقى تبعت لي هالأجدب
تعال إنت بنفسك أحسن ما أتكركب
وظل صفنان هالرجَّال طول الوقت
واستغفر ربُّو على إلِّي صار بمرتو إلِّي فيها هوّ السبب
وقالْ لها: طوّلي بالِكْ أنا بحاسبو بالحال
وقال لنفسو: الله عاقبني على ذنبي
بنفس الوقت ألِّي كنت رح أغضِبْ ربي

بعت هالأجدب لمرتي
دخيلَكْ سامحني يا ربي
واغفر لي واستر عليَّ وعلى مرتي

«١» السفرطاس: صحون مطبقة للأكل.
«٢» الكوز: جرة طويلة لشرب الماء

٢٢ الكبت

كان يا ما كانْ
هالقصة قديمة وإلها زمانْ
حصلت بالشاغور
وبيشهد عليها الساطور
فيها عبرة وبالنفس بتحفر حفرة
المهم وبلا طول سيرة. كان في عيلة بالشاغور من أم وأب بالعمر كبار
والأب مشلول وكان بزمانو يشتغل سمسار
والأم ختيارة ويا دوب تقوم بحالها
وعندهم ٤ شباب وبنت وحدة صبية ما بينفتح عليها الباب
وكانوا هالأولاد الأربعة من مشرَّانين الشاغور
قصصهم بالمشاكل والثرثرة إلها عصور
وصاروا صاحبين دين وبيستغفروا ربهم ويقولوا آمين
وقت كبرت أختهم حطوا لها منديل
وقت خلصت الصف السادس قعَّدوها بالبيت
ولبَّسوها مانطو طويل
وقعدت بالبيت لتساعد أمها وتطبخ وتنفخ وتغزل بالخيط
وتستنَّى عدلها ونصيبها
حتى ولا كلمة من الناس تصيبها
وكبرت هالبنت
وهي ساكتة وعم تسمع كلمة أخواتها وهي مكبوتة كبت
ومضت الأيام وهي عايشة للخدامة
فصارت تدبل وتنحف ودوم مالها حيل ونايمة
وصارت بريعان الشباب
وما كان يجيها نصيب
وبقلب أمها الحزن رح يصيب
فقالت هالأم لأولادها: خدوا هالمظلومة واعملوا لها سيران
وخدوها حتى تتنزَّه بشي بستان
حرام هالبنت محبوسة بين ٤ حيطان
لابتفوت ولا بتطلع والله حرام
وزعلوا عليها أخواتها

وأخدوها سيران.. لبستان أبو عدنان
فقال الأخ الأكبر: ليش ما مناخدها لشي كتّاب لتعليم القرآن؟
أو شي جامع أو بيمارستان؟
فوافقوا على المبدأ هنّ الأربعة
وصاروا ياخدوها ويجيبوها ع الجامع
وفعلاً درست وختمت القرآن
وكانت أشطر واحدة كمان
فرضّيُوا أخواتها يحطوها بمعهد للشريعة
لفرحتهم فيها بهالضيعة
وصاروا يوصّلوها أخواتها بالتناوب
حتى ما يصيبها شي صايب
وكانِتْ هيِّ ورفقاتها كلهن بمناديل وجلبيب
وما يبين منهن شي ما يميزهن حدا ولا القريب
وكانِتْ تودِّع رفقاتها بالمعهد
وتروح لعند أخوها إلّي ناطرها ع المقعد
يعني إذا ما قرَّبتْ لعند أخوها لياخدها
ما يدوِّر عليها لأنُّو مارح يعرفها
ومرة من المرَّات
قالتْ لأخوها: صديقتي جايي معي عازمتها عالسجقات
وطبعاً قعدت مع رفيقتها بغرفتها
وفاتت أمها لعندها وسلمت عالضيفة
وقالتْ لو لابنها: هالبنت أحلى من بنت خالتك عيشة
شو رأيك أخطب لك ياها
هلاْ إذا بدك بسأل لك عن أهلها وفصلها وخباياها
فقالْ لها: بكير يا أمي بكير
ليتجوَّز أخي الكبير
المهم وبلا طول سيرة
وكل كم يوم صارت هالبنت تقول لأخوها اتركني لأرجع أنا ورفيقتي ع البيت لأنها جايي تساعدنا بتعزيل البيت
وأمك مرضانة وبدي أعمل لها لوبية بزيت

وفعلاً كانت الأم مرضانة
متسطّحة بغرفتها ودبلانة
وانجبرت البنت تترك المعهد لحتى تطيب أمها وتتحسَّنْ
وصارت تجي لعندها كل كم يوم رفيقتها
وتفوت لعندها بغرفتها
وظلوا على هاللون كم شهر وكم يوم
وكانت تنبه أخواتها الشباب أنو لا يفتحوا عليها الباب
وما كان حدا يقرِّبْ صوب الغرفة لأنهن عارفين أنهن عم يدرسوا ومالهم غيرها لهم
وما كان حدا للأمر يهتمّ
ويوم من الأيام أجت لعندها رفيقتها أحلام
وفاتت لعندها ع الأوضة
وراحت هالبنت ع المطبخ لتجبلها بالوظة
وتمسَّتْ رفيقتها عندها متل العادة
يعني صارت الساعة ١٠ بالليل وزيادة
فأجا أخوها الكبير من الشغل ولقى ضو غرفتها مشعول
فوقف بأرضو وهو مشلول
فقالْ لها: مين عندك يا أختي؟ قالتْ لو رفيقتي أحلام
عم ندرس عتَّا فحص فوت أنت نام
فقالْ لها: طيب ماشي الكلام
وفات على غرفتو وبعد شوي
إجا ببالو يشرب مي
فنزل على أرض الديار
فسمع صوت من الجوار
كأنُّو ضحك وصهصلة
أو كأنُّو صوت تخين وألو هلهلة
فقرَّبْ صوب باب غرفة أختو
فسمع صوت زلمة عم يهمس همس
فارتعب من إلِّي سمعو بأدانو
ليكون هالشي بمنامو
فقال لنفسو: ولي شو صوت هالبنت تخين

وقرَّبْ أكثر من الباب فوضح الصوت أكثر
وكان صوت رجال. !!!
مع صوت وشوشة وحسوسة
وغناج ويمكن في مبوسة
فما عاد قدر يفكر أو يجمِّع أفكارو ومدري شو إلِّي جرالو
فخبط الباب خبطة وحدة
بس كان الباب مقفول
وقالْ لها: لأختو افتحي يا قرده
فقالِتْ لو أختو: استنَّى يا أخي لتتسنَّرْ رفيقتي
وتلبس منديلها
لأنُّو إنتِ مالك حليلها
وفتحت الباب. وركض الأخ ودفش أختو على الأرض
وركض على رفيقتها وشدّ المنديل من على خلقتها
ورما على الأرض
ولقاها رجال بشوارب
ومن هالشوفة ما عاد يقدر لا يحكي ولا يجاوب
وقام هالرجَّال ليهرب بالحال
فكمشو أخوها وقال لو: عامل حالك حرمة
ولقَّحو على أرض الدار
واسناول الساطور إلِّي بكعب الشجرة
وشختو من رقبتو لراسو هالحمار
والتفت على أختو المنهارة
وقالْ لها: لازم تاكلي جزاتك ونظِّفْ متّكْ هالبيت ومن هالحقارة
فقالتْ لو: استنَّى استنَّى قبل ما تدبحني
في عندي كلمة بدِّي قولها قبل ما متل الغنمة تشختني وتريحني
إنتِ وأخواتَكْ السبب
حبستوني بالبيت بحيلة الأدب
وحرمتوني من شبابي ومن عنفواني إلِّي عَ الأرض انسكب
وعملتوا مني خدامة وجارية ومفكرين إني مو حاسّة
وكنتوا عم تستثُّوا شي حمار يشتري هالدابة

وفات قطار العمر عليِّ وأنا محبوسة
صرت بحيطان الـ ٤٠ وأنا عندكم مدعوسة
وكبرت وما عدت لا أنباع ولا أنشرى مثل الجاموسة
وما حدا سأل عن مشاعري وإحساسي
وعن حقي بالحياة هدفكم تكسروا راسي
وحبستوني بحبس من حديد
وفكَّرتوا أنُّو هذا المفيد
وما فكَّرتوا أنُّو الثقة قبل القفل
وعند النسوان الصعب بِصير سهل
ولو كان سبع قفال
قدرت غير المحال
وانتقمتْ منكم ومن نفسي
وإلِّي أخلاقو ما بتردُّو
حبس الحرية ما بيوقف بطريقو وبيصدُّو
وبلا طول سيرة
القفلة معروفة وما بدها حيرة
قتلها أخوها وهو زعلان وعليها ندمان
بس قتلها ليحمي العار
بس كلامها ظل محفور بقلبو متل البسمار

الشحاد ٢٣

كان يا ما كان يا سادة ياكرام
منحكي هالرواية ولاَّ متَّام؟
كان في زلمة فقير كتير وبحالتو عدمان
وتعتيرو ما مرق على إنسان
وعاش طول حياتو بالطول والعرض
لحتى انتهى فيه المطاف شحاد على الأرض
شو بيشحد بياكل وبينام بالجامع إلّي بالميدان
ومعروف بالحارة بحدو السعدان
على قد ما بينط من حارة لحارة
ومن بيت لبيت ومن دكان لدكان
ليشحد ويسترزق من عند فلان وعلاّن
وكان محبوب من أهل الميدان
وعلى ألله رزقو هالهفتان
موهامُّو شي بالدنيا
إذا نام شبعان
أو بات جوعان
المهم ما عندو هَمّ
ولا عيلة بدها لَمّ
ولا أم ولا حرمة يهكل همها
ولا ولاد فاتحة تمها
وكان حدُّو.. حاسس ما حدا قَدُّو
بيتنقَّلْ ع التجار ليتصدَّقوا عليه
وعيدية بالعيد يعطوه
ومتل ما بتعرفوا الميدان كانت كلها تجار جْمال
وأغنياء ومقتدرين
وخيّرين وميسورين
وكلها عائلات أكابر ومستورين
وكل يوم بيمرق لعندهم حدُّو
لياخد إلّي فيه النصيب ويجيبو لعندو
من طبخة من هدمة من مداس

ويبوس إيدهم ويحطّا ع الراس
المهم وبلا طول سيرة
يوم من الأيام مات رجّال كبير من الميدان
من أكابر وأغنياء العائلات
عندو ٣ صبيان و٣ بنات وكان أغنى واحد بالميدان
عندو أراضي وبيوت وأرزاق ما بتاكلها النيران
المهم: بعد موتو وتجهيزو وترحيلو
لازم متل ما هو معروف ومعلوم بقا سيدي
بعد دفن الميت لازم تنفكّ وحدتو
بين المغرب والعشا وبينقرالو قرآن فوق قبرو
يعني قبل ما يجيه أنكر ونكير ويحاسبوه
وعن أعمالو يسألوه
الخلاصة: ولادو الصبيان خافوا وتوغوشوا من هالروحة ع المقبرة والدنيا عتمة
والتربة بتصير موحشة ومظلمة
فاتفقوا يستأجروا شي سخرة
لفك وحدة أبوهم ويخلصوا من هالأمر بالمرة
وقعدوا يفكروا يوكّلوا حدا
فتذكّروا الشحاد حدُّو
واتفقوا بطلوع الضو يروحوا لعندو
محل ما بيقعد بشي خرابة أو بالجامع
وأكيد بيرضى وما عندو مانع
وراحو تأني يوم لعندو
وكان حدُّو مصمِّدْ مجيدية وحدة ومخباية بعبُّو
وكان رايح يشتري دكّة لشروالو
إلّي ورتانو من عشر سنين عن خالو
فشافوه بالطريق
وقالوا لو: إجاك الفرج بعد الضيق
وأقنعوه أنُّو هو أحسن شي لعمل الإحسان
لأنُّو صايغ وبيخاف الله وبيعرف يقرا قرآن
رغم أنُّو ريحتو بتقزّف وجربان

فقالوا لو: منعطيك ١٠٠ مجيدية
ومنسكنك بـ بيت صغير بالعلّية
زَحَلْ عقلو هالحدو بالمصاري
ووافق رغم أنو كان مرعوب ومالو داري
لأنّو هالفوتة بدها واحد قلبو قوي
ومؤمن وتكون هيا مو بالمصاري
المهم فرح حدُّو وعدل عن شرية الدكة لوحدو
وقبل أنو يروح عالبرية
ويزور قبر أبوه بالجملة
وقال لحالو: بشتري بطريقي سندويشة لسانات وكبة مقلية
وباكلهن قبل ما روح عالبرية
ولبين ما يأذّن المغرب
بتهنى بشي أكلة هنية
وبالفعل وصل ع المقبرة بعدما أذَّنْ المغرب بشوَيْ
وعتّمِتْ عليه الدنيا وهمُّو هالشي ببساطة
وقعد جنب قبر الميت مشئيت«١» البلاطة
وفتح القرآن ليبلّش قراية
سمع صوت متل حفيف الحية أو الحرباية
وشاف أنكر ونكير جايين سوا
فقالْ: ولي أجاك الموت يا تارك الصلا
وهنْ كان بدهن يحاسبوا الميت جايين
عن أعمالو بكل السنين
فشهق من الرعبة الشحَّاد حدُّو
ويبس بأرضو
فشافوه أنكر ونكير
فقالوا لو: إلك عتَّا تدبير
ومنيح إنك أجيت على بكير
تعال نحاسبك قبل صاحبك
لحتى نسألك أنت بليت نفسك
ولاّ أالله بلاك

وسألوا عن المجيدي إلي معو
وشو بيملك غيرو ولاّ بس هو إلّي بيملكو
ومنين جابو وكيف وصل ألو
وشو اشترى فيه
وبلشوا من القرش الأول من المجيدي
كيف وين وليش وإيمتى صرفتو
والقرش التاني والتالت... هيك
لجهجهة الضو وأذّن الصبح وندّى الجو
فقالوا لو: روح هلاّ صلّي الصبح
وبكرة منكمّل الشرح
وهوّ !!
ركض من رعبتو وقال يا فكيك
وبهالورطة مالو شريك
ووصل للجامع وهو عم يصرخ ويجعر من الخوف
من هالشوفة إلّي بتطع الجوف
ووقت أجوا أهل الميت يسألوه شوعمل بالمهمة إلّي فيها كلّفوه
قالّ لهن: دخيلكم لا تسألوني ع المهمة
وإذا بدكن اتهموني بمليون تهمة
بس ما عاد روح ع التربة
وما بدي مصاري وما بدي بيت بسند ضهري عالحيط
خلّوني مرتاح البال بداري
لأعرف ليلي من نهاري
لأنّو أنكر ونكير سألوني من المغرب للفجر
عن القرش الي هدرتو هدر
فكيف عن مصاري أبوكم الي جمعها طول العمر

«١» مشتيت: أي جانب

٢٤

الجـرة

بداية:
كان ياما كان، كان من زمان في رجال وعندو ثلاث ولاد
وماتت مرتو وفضيت فرشتو
ومضت فيه الأيام حتى نسيها حتى بالمنام
وكبر وما عاد يقدر يشتغل
وكان غني ومقتدر
بس كان بخيل ومأنشح.. واسمو مصلح
وهو من باب السريجة
ومرتو من القباقبية
وكانت حرمتو اسمها بهيجة
وماتت من القهر
على قد ما جوَّعها هالندل
إذا قالتْ لو: اشتهيت محلاية
بيقولْ لها: مولا بقلك غير محلاية.. ريتك تاكلي صرماية
حاجة تتونئي شبو الخبز والبرغل
من شو بيشكي شويّ تانية بتقولي بدي زنكل
بتقولْ لو: اشتري لي هالفستان
بقولْ لها: ليش لها لجسم الورمان
كأنك التالوله بالإبهام
قالت لو: دخيلك بدّي شحاطة وكندره
وبدي ساكو«١» وشوية غندره
بيقول لها: روحي تضربي بها لموديل
إيه راسك متل الكرنبة المقشورة
وعيونك فايتين بجوره
وتمك متل المغارة المهجورة
وأسنانك متل الحجارة المنقورة
وحناكِكْ عوج بدّك لقّة بابوج
وكمان بدك غندره يا معنَّره
الخلاصة.
كان معيَّشها عالحصير
رغم أنو بيملك ثمن مليون سرير

واللحمة ما بتعرفها
والخضرة يا دوب تاكلها
ومصرية دوبو بالكيس يلفها ويكمرا
وبعد ما ماتت مرتو
كبروا ولادو التلاتة والصراحة كانوا عايشين من قلة الموت متل ما بيقولوا
وعمّ يدعو عليه ينضب بشي تابوت
وينمد على سحلية«٢».. ليندفن بشي برية..
لأنُّو بخيل عليهم وكحته
ومعيشهم متل الشحادين القعدة على الحصير والنومة عالمَدّة
وطول عيشتو بالبيت كان أكلو خبز وزيت يعني من حواضر البيت
وهدُّو المرض وبرك ولا عاد فيه يحرِكْ حركة بالبيت
فحطوا ولادو على تخت جنب الحيط
ويجوا بدهم يطعموه يقولْ لهم: بكّفيني زعتر وزيت
لا تبحتروا من مصريِّي رح أخبط راسي بالحيط
يجوا بدهم يغسّلوه
يقول لهم: لا تسرفوا المي غسلوني تيمُّم
فحطّوا لو جنبو حقْ فيه مي
وكيس خبز لحتى يخلصوا متُّو ومن العي
وكل ما شافهم يقلهم ويقول:
حاجة تهبشوا من مصريِّي هبش
وهمّ يدعوا عليه بقلبهم ويقولوا لو
والله ما بدَّكْ غير نعش
المهم: ما عاد حدا بيَّنْ عليه من كتر بخلو
ومن ظلمو لنفسو ولولادو
بعدوا عنُّو رفقاتو وحتى حسادو
ولأنو بارِكْ وعالتخت لابِدْ
إجا جارو ليعينو فوصَّاه يفتحلو طاقة بنص التخت
ويحط تحت الطاقة جرة كبيرة إلها غطا
ومجنزرة بجنزير مع التخت من ورا
كان هالرجال يشخ فيها الكبيرة والصغيرة يعني كلها.. أنتو أكبر قدر.. خ...
لأنو بقي لوحدو وما في حدا يساعدو

وكل حين ومين ليجي ولد من ولادو يسأل عليه
ويطعموه ويغسلوا إيديه ورجليه
المهم: الأب وقت حس أنو ما حدا من ولادو بقي يهتم فيه ولا يسأل عليه
فبعت ورا ابنو الكبير وقلّو:
أنت أعز أولادي
وولادك أعز أحفادي
وأنت الحنون الرؤوم بين إخواتك
ومشان هيك قررت أعطيك هالجرة بعد ما موت بالمرة
شايف الجرة المربوطة بجنزير تحت التخت؟
هي مليانة من الذهب والمصاري ومدكوكة متل الجفت
وقت بموت هيِّ إلك
بس لا تحكِ لأخواتك حتى ما يطمعوا فيك
ويخلصوك ياها وبيحرموك منها
فصار هالابن يهتم بأبوه وكل يوم يجي لعندو ويروح
وبالسر ما بيبوح
ويخدموا وأطيب الأكل يجبلو ويشطفلو بيتو
ويعزلّو حيطو
ويدلّلو ويحيكيلو قصص ونهفات
ويسردلو حكايات.. ويسلّيه لحتى ينامْ
وطمع الأب بالمزيد
لأنو عندو تلتْ ولاد مو ابن وحيد
فبعت خبر ورا ابنو الوسطاني
وقال لو نفس الحكي من تاني
وبعت خبر ورا ابنو الصغير
وقال لو: نفس الحكي بدون تفسير
حتى من دلالهم ألو يعيش عيشة أمير
وصاروا كل يوم يجيه واحد من ولادو وخمسة بعين حسادو
وكل واحد حافظ عن أخواتو السر
حتى يفوز بالكنز والبر
وصاروا يخدموا ويشوفوا طلباتو
وهو يتونأ ويقول لهم هاتوا

شي محاشي، شي كبب وشاكرية
شي مشاوي، شي سجقات وملوخية
وشي مشتهي أكلة حلو جيبوا لي ياها
شي مشتهي موالح صفّوا لي ياها
وهالولاد تدفع وتجيب
وكل واحد يتمنى إيمتى بدو ياخد هالجرة ويدعي بجاه الحبيب
وضل أبوهم على هاللون
على كل درس لون
لحتى انتفخ من الهنا متل البالون
ومضت الأيام وكل واحد من ولادو
عم يحلم بالجرة لزاتو
وما عم يحكي قدام أخواتو
لحتى مات الأب.. وبعد العزا والذي متُّو
إجو لياخدوا الجرة كل واحد لوحدو
فاجتمعوا بالأوضة على خناق وقتال
وكل واحد يقول للتاني
أبي وعدني فيها مولحدا تاني
فدَّابحوا ودمَّوا بعضهم البعض شي غير عادي
فأجا الأخ الكبير وقالْ لهم: تعالوا نحتكم عند القاضي
أحسن ما نضل عم نتخانق ونتعادى
وبالمقاتلة نتمادى
فراحوا لعند القاضي أبو ماضي
وكان هالقاضي ألعن من أبوهم وجشِعْ وبيحب المال
وبينصِفْ الغني لأنو بطعميه
وبيترك الفقير لأنو ما معو شي يعطيه
المهم وصلوا لعندو ومعهم الجرة المجنزرة
وبالقفل مقفولة ومبسمرة
وحكوا لو حكياتهم
وأنهم اختصموا عليها
وقالوا لو: قولْ لنا الحل بسرعة قبل ما نمل
فرفع الجرة بين يديه وقلهم الحكي إلي بدي قولو اسمعوه

هلاْ بكسر الجرة على راسي واللي بيهرّ منها ع الأرض بتتقاسموه
واللي بيبقى على راسي هوٌّ إلي
وهذا شرطي الأساسي
والأحسن وافقوا على هالحل يا أما خليكم عم تتخانقوا وعليها لا تتقاسموا
فوافقوا فوراً وعليها رح يتسابقوا
فرفع الجرة على راسو وكسرها
وشر الخرا أنتو أكبر قدر
والوسخ والزبل على راسو ابندرّ بدر
فتفاجؤوا الولاد وقالوا مو بعيدة
على أبونا هالمأنشح البخيل هالعَمْلة
لك عطانا كمّ مرتّبْ يا ويلنا
ومقلب مشرشح منيح ما أجا فينا
واندار هالقاضي أبو ماضي
وصار يدعي على أبوهم
ويقول: الله ينتقم منكم ومن أبوكم
الله يغمّقْ لو بقبرو
ويضيّعْ رزقو وينشّفْ نهرو
حق معهم أهل الأمتال وقت قالوا:
«البخيل بيعيش فقير وبيموت غني»
ينكت كرارو ويطفي نارو
نكت الخرا على راسي
وصار جسمي وراسي كلو خرا
إيه بعّدْ إنت ويّاه وارجعوا لورا
صحيح الطمع ضر ما نفع
فقالوا لو: لو ما كنت أكحت متُّو ما بتعلك ربّكْ هالنهاية
وهيك خلصت الرواية

«١» ساكو: مانطو
«٢» سحلية: أي السرير الذي يغسل عليه الميت

٢٥

الحرامي

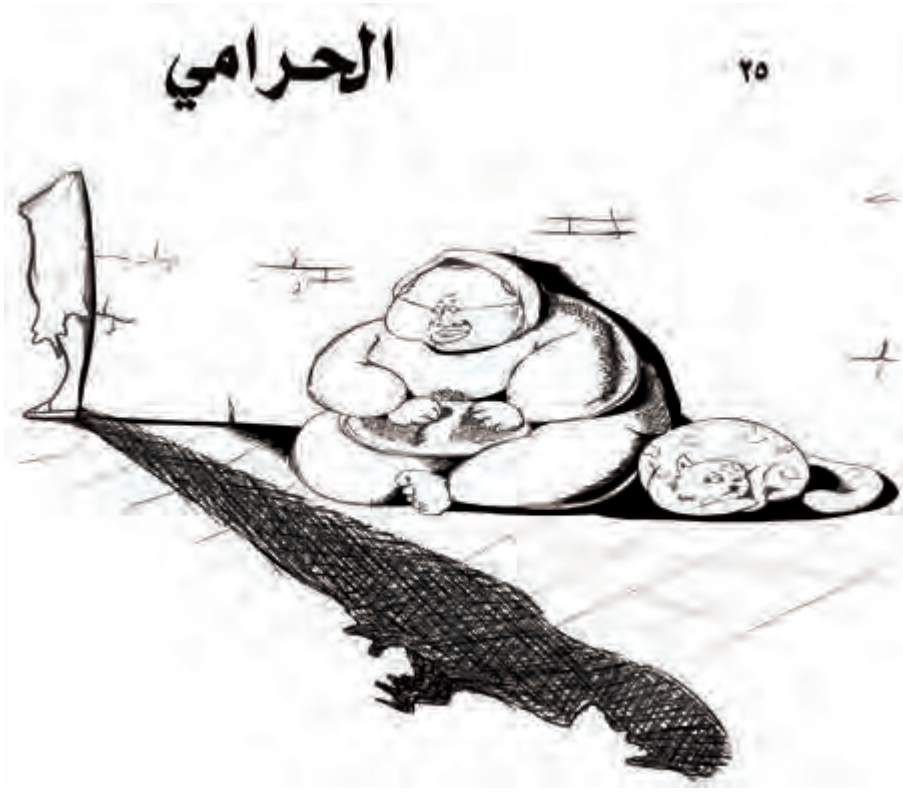

رح أحكي لكم عن وحدة ختيارة موديلها متل السحَّارة
هي كتلة من الشحم والدهن واللحم
معدومة التضاريس كأنها شْليف
الشَّفَتير منفوخة ومدعبلة
وكل شفتور ما بيشبه أخوه
وأصبيع إيديها متل اليالنجي«١» وقت بيلفُّوه
المهم. كانت هالختيارة عايشة لوحدها بالحارة
وكانت حارتها سوق ساروجة
وعليتها معروفة بالمعمورة
واسمها زهرية برغوت
وهالختيارة بحيطان الـ ٨٠ موناقصها إلا تابوت
ومات جوزها من زمان كان اسمو عبدو دمَّلِهْ
وهيِّ عاشت ببيت عربي مهرهِرْ جنب بيت عسقَلِهْ
ومدحوش بالحارة بين بيوتها مواجه بيت أبو حسني شطاره
وقريب لبيت شيخ الحارة
ومتل ما منعرف أسطح البيوت كلها على بعضها البعض
والصوت بيودِّي
وقال المتل: مين أعلم بحالي ومحتالي قالْ لو: جاري
وكانت تتقِّي عدس وبرغل وفريكة لنسوان الحارة
وبتضل قاعدة بأرض ديارها
وبتتحتَّنْ عليها الناس من لقمة من طبخة بايته
من شوية فواكي زايدة
المهم هي عايشة وراضية
ويوم من الأيام قاعدة بأرض الديار
وعم تقشَّرْ وتاكل فَوُّوس«٢» وخيار
وكانت الدنيا المسا
وجنبها حاطَّة شغلها وقاعدة ببلادة
صينية برغل وقصعة«٣» فريكة بدّها تنقِّيها لبيت أبو لبَّادة
ومادة جرياتها وعم تغني لجاجاتها
وكان عندها ٣ جاجات بالقنّ

وقط أبيض شعرو مرخي وبيضل يعنّ
الخلاصة وبلا طول سيرة يا قرائي يا سهيره
لمحت المخلوقة على سطح الدار خيال
وبعد شوي ردت لمحت خيال
كأنُّو عم ينط من سطح لسطح وحامل بإيدو كيس خيش وربطة حبال
فقالت ببالها: ولي حرامي
ما أحلاه ينزل على داري
وكيف بدي لحقّ أهرب لجوَّات البيت؟
يا دوب مشيتي متل البرَّاءة بكل خطوة بدي ساعة
بيكون اسناولني الحرامي ببراعة
أحسن شي أعمل حالي مالي شايفتو
وكان صار أول الليل فوصل لسطحها الحرامي
وما في ع الأسطح غيرو حدا تاني
وقرفص على سطحها قرفصة
وهو عم يقطرها متل الخنفسة
فعرفت أنو هيِّ المقصودة هالحرمة
فجرَّتْ لناحيتها صينية البرغل وقعدت تنقّي فيها وما كان في ولا نسمة
وهو عم يقول لنفسو هلأ بستنَّاها لحتى تنام
وبنزل بسرق من عندها إلّي فيه النصيب وكم حْرام
وهيئتها ختيارة ومالها حيل تهرب متل الحمارة
وهي قالت لنفسها: إذا بدّي أصرخ هلأ
بدو ينط لعندي ويقتلني وقد ما عيَّطت ما رح حدا يسمعني
وهوَّ أكيد عم يستنَّاني لقوم نام
لينزل عليِّ ويتمكَّنْ مني عالتمام
أحسن شي ألهيه وكل ما يمل
أعمل حالي عم ضبضب الغراض لقوم نام
أحسن ما عليّ يسل
فكل شوي صارت تقول:
إيه لقوم عشّي قطي واسقي البعير وأفرش ونام
تردّ تنقّي بهالبرغلات

وتقول: لخلّص تنقاية البرغلات أحسن ما تاكلهن النملات
وتمطّ بالوقت وتغنّي:
يا شمسة اطلعيلي حتى أنشر غسيلي
غسيلي بالعمارة نطّتْ عليّ الفارة لتسرق لي بيضتين
من جاجاتي المبلية
حمرة وبيضة وهندية
وترد تقول: إيه تعبت ياالله لقوم عشّي قطّي وأسقي البعير وأفرش ونام
وتقول: يوه يوه في بحصة بالفريكات
لقيمها ودوّرْ عليها قبل ما تختلط السموات بالقبوات
وتردّ تغنيّ وتقول
عندي ديك اسمو رمزي
نط وقعد ع الكرسي
جبت الموس ودبحتو
بالزيت والسمنة طبختو
حطّيتو عالبحرة أجا القط وأكلو
سم يهري معدتو وبَدَنتْو
وترد تسكت شوي وتقول:
إيه حاجتي سهر، لقوم عشّي قطّي وأسقي البعير وأفرش ونام
وصارت تغنّي
يا مطرة زخّي زخّي
على سطح بنت أختي
بنت أختي جابت صبي
سمتو عبد النبي
طلعْتْ على السطح رماني الهوا
شافني الدكتور وصف لي دوا
قلت لو شو هالدوا
قالْ لي، حنْدَق وبندُقْ وكعب الغزالة
وضلّتْ على هالحالة طول الليل
والحرامي رح يطقُّ وهو عم ينتظر
ويقول لنفسو، إيمتى بدها تنقبر

وتقوم تنام والله رحْ انفجر
ونعس وما عاد فيو حيل
ورح يبرك متل الخيل
ويرجع يقول لنفسو: يخرب بيتها شو بليانة
لك شو مالها نعسانة؟
ليكون نسيت أنُّو في بالدنيا نوم هالخرفانة
والله ما أكمشها لنتّفها بسناني
وما معي شريك فيها حدا تاني
إيه العمى رح يطلع الضو وبرد الجو
والليل ستَّار وأنا عم أنطر متل الحمار
وبهالأثناء غفلت عينو وهيَّ عم تغنّي
هيك لطلع الضو وصار الصبح
وصارت الناس عم تسرح سرح
وصارت هالختيارة
تصرخ وتنادي وتولول وتقول دخيلكم يا جيراني
يا أهل الشهامة غيثوني قبل الندامة
عندي حرامي يا أهل الحارة
على سطحي تعالوا خدوه وخدوا البشارة
دخيلكم الحرامي على سطحي
سرق نومي وأكل طبخي
وركدِتْ هالناس ع الأسطح
والحرامي مو حاسس نايم ورايح فطيس
وكمشوه وهوَّ من رعبتو صار كسيح
ولقطوه متل القط إلّي بيلقط الفار
وقال لحالو:
إيه العمى شو طلعت حمار

«١» البالنجي: ورق عنب محشي بالرز ويطبخ بالزيت.

«٢» قَرْوس: القثاء مثل الخيار. «٣» قصعة: أي وعاء عميق للطعام.

٢٦

عربايـة دوما

كان يا مكان من قديم الزمان
رح احكي لكم حكاية حصلت بالمناخلية
إلي بتنفد على العصرونية وباب البريد
والشارع العام اسمو الملك فيصل
وهوِّ سوق الهال ومكان فيه ساحة للعربايات
وجنب سوق الهال في العمارة الجوانية والبرانية
المهم: كان في جماعة ساكنين بالمناخلية
وهنِّ من بيت جبري ساكنين ببيت عربي كبير مرا ورجَّال وعندهم شب طويل وعريض
وكان اسمو بكري
وجوزوه ليفرحوا فيه ويكتر نسلو
ويجبلهم صبيان وبنات ويلاعبهم بحجرو
ومضت أكثر من سنة ومرتو ما كانت عم تحبل وتجبلهم الولد
وصار الأب والأم عايشين بكمد
وصارت هالأم تنقّ على ابنها
وتقول لو: تعال لجوزك غيرها لك ابني وهوِّ ما عم يرضى
ويقول لها: حرام يا أمي هلأ بتموت من الحسرة
إذا جبتلها ضرة
وضلت تنق أمو عليه ليل نهار
لحتى يغيِّر مرتو. فكرها بتغيِّر الأقدار
ومن القديم كانوا يفكروا أنو عدم الخلفة بس من المرا
ونوع الخلفة من المرا
مع أنِّو منعرف أنو الرجَّال بيزرع والمرا بتحصد
والرجَّال البذرة والمرا التربة
الخلاصة. ضلِّتْ تنقّ عليه لحتى جوَّزتو
وجابت لكنّتها ضرة
وسكّنتها معها لتحرق قلبها بالمرة
بس هالمرا ما صبرت كتير ماتت من قهرا
وماتت من شهرين من الحسرة
وصار يشوفها بالمنام ويحس أنها انظلمت
لأنو أمو عليها ما نطرت

وبعد فترة جابت مرتو الجديدة الولد
ومن فرحتو فيه أنو الله عطاه سماه عبد المعطي
وكان أبوه البكري رجّال كبير متل ما حكينا
وروح قلبو يقعد بعد العصر على عتبة باب الدار
ليتسلّى بالدكنجية والناس إلّي كلها أسرار
ويحط كرسي قش صغير وجنبو في سحّارة
عليها برّاد شاي «١» وعلى كيل وعبّي بالحارة
لحتى ينزل الليل ويأذّنْ العشا ويفوت عالدار ويصلّي ويتعشّى وينام
وهيك كانت حياتو هالختيار متل أكتر عجائز الشام
الخلاصة وبلا طول سيرة
كبر ابن بكري وصار عمرو «٥ أو ٦» سنين ما بْدري
المهم كان هادي وذكي ومرضي
وكان جدو يحطو جنبو عالكرسي يتفرج عالرايح والجاي
ويقول لو: جدُّو طعمينا
وجدو يطعميه ملضمينا «٢»
والست تقلي الزنكل «٣» وتعطيهم الصحن بيمينا
ويوم من الأيام كان هالختيار تعبان وقاعد جنب باب الدار
وقاعد جنبو متل العادة ابن ابنو وعم يضحكوا متل الصغار
وبعد شوي غفي هالختيار
وأجت أم عبد المعطي تستفقد عمها وابنها
فما لقت الولد جنبو
وصرخت هداك الصوت من رعبتها وقالت يا عمي يا عمي وينو عبد المعطي
فقال لها: ولي هلأ كان جنبي وحاطو بعبّي
والله ما عم خبّي
وصارت تصرخ بالولي وتولول هالحرمة وركد جوزها بالحارة
والجيران ركدوا يدوّروا على الولد بشطاره
ومضى الوقت وأذّنْ المغرب وأجا العشا وفات الليل
والولد ما التقى يا ويلهم ويا ويل
وبلّغوا الشرطة عن فقدانو
ونطروا ليبيّن عليه شي خبر أو تجيبو الشرطة من أدانو

وما في نتيجة، أول يوم وتاني يوم وتالت يوم
وضاع الولد
وعاشت هالعيلة بكمد
وانملى قلبهم بالحسرة والحزن وصار بحياتهم انهيار
والأم ضلّت تبكي على ابنها ليل نهار
وطبعاً ما التقى الولد
ومضت سنة وسنتين وفقدوا الأمل
ولأجل حظ هالحرمة ما عادت حبلت يمكن من الحزن
يمكن ما عاد في شي بالجرن
المهم: اختفى الولد !
وكيف اختفى الولد؟
كان قاعد جنب جدُّو متل ما حكينا
وكان ماشي رجَّال من حدُّو
وشاف هالختيار غفيان ونايم والسوق والحارة وكلو بشغلو قايم
وعجقة وناس فاستغلّ الفرصة
وحلي بعينو الولد لأنو كان بقلبو غصَّة
فاستدرجو لناحيتو ليعطيه مصاصة وبسكوته
وحملو وقال لو: أنا عمَّك أبو جدعان
تعال لأشتري لك عرنوس درة وغزلة، شو مالك جوعان؟
وصار يلهيه بالحكي والأكل لطلع من الحارة ووصل لسوق الهال
وركب بعربية دوما لياخدو معو يعني احتال عليه احتيال
وصار يحكي لو حكايا ويهزّ فيه هالترين إلي ماشي عالسكة الحديد
لحتى نام الولد متل البليد
وكان هالرجّال بدوي الأصل. وكان عايش بأطراف دوما بالبساتين
وعندو بستان صغير ومتجوِّز بنت عمو وكانوا فقرا ومساكين
ومضى على حياتهم عشر سنين
وما كان يجيهم الضنا وهنّ عايشين وحيدين
وقت شاف الولد قاعد عالكرسي جنب جدُّو
تذكر حالتو وأنو ضنا ما عندو
وقال لحالو باخدو إلي

ومتل ما جابوه بجيبوا غيرو
وأنا ما عندي لا ولد ولا سند ولا معين
وبيكون فرحة لمرتي إلي عايشة بالأنين
وأقتع حالو بهالحكي
وسرق الولد إلّي جنب جدُّو متّكي
وكانت الطريق بين الشام ودوما بعيدة
والعربايّة بتوقّف بمحطات عديدة
وغفل الولد وغرق بالنوم وصحي لما وصلوا
وصار يبكي بدُّو أمو وأبوه
ويسألهم مين هدول إلّي لعندهم جابوه
وصبر عليه أبو جدعان
وقالّ لها لمرتو: جبتلك ابنك إلّي تمنيتيه من زمان
لحتى تربيه ويعيش معك بأمان
وخلّيه بالبيت كم سنة
لحتى ما حدا يشوفو ويصير عمره عشر سنوات
وقتّها بنزّلو ع البستان
بيعاونّي وهيك بكون مبسوط ومالي ندمان
ولحتى يتعوَّد علينا لاطفيه وتحمَّليه ولبسيه من أوَعينا
وناديه باسمه الجديد جدعان
لأنو صار متّا وعلينا
والحرمة مَرّت أبو جدعان كانت حنونة كتير
وكأنها لقت كنز كبير
وضلّت تعلم الولد وتقلّو لو نحنا أمك وأبوك الجداد
حوالي السنة لحتى تعلَّم الولد يناديلها يا مو ولجوزها يا بي
الخلاصة. وقت صار عمرو عشر سنين
نزل مع أبوه ع البستان ليقطف رمان
ويشتغل بالفلاحة ويتعلم الحصيد والبذار
وكان يشغلو أبو جدعان بالأرض متل الحمار
ورمى الحمل كلّو عليه
وكأنُّو خادم بين إيديه

لصار عمر هالولد ١٥ سنة وطبعاً نسي أمو وأبوه
ونسي أصلو وعيلتو وإلي خلَّفوه
وما بيعرف غير أبوه أبو جدعان
وأمو الحنونة أمُّونة
ويوم من الأيام كان أبو جدعان عم يصفّ الخضرة إلّي عم يقطفها
وبالسحارة يصفها حتى ما يتلفها
لحتى متل عادتو ينزّل الخضرة بالسحارة
لسوق الهال بالشام ع العربايا أو الحمارة
فقالْ لو جدعان: خلّيني أنزل معك ع المدينة لشوف سوق الهال
مشتهي روح معك شي مرة وأهرب من ريحة البغال
وما كان يرضى ينزّلو معو
فقالت لو مرتو: إيه مضت سنين
وما عاد يتذكر شي أو يميز بين المناخلية أو عربين
وأول هَمّ بيساعدك بالعتالة
وتاني هَمّ بيتعلم البيع والشرى
وتالِتْ هَمّ مشان تشتريلو ساكو «٤» من البالة
لأنو قربت الشتا ولا تنسى تجبلي ملاية
المهم: بالأخير رضي الأب ياخدو
فقال لو ابنو: ما بدنا نروح عالحمارة خلينا نركب الترين
مشتهي أركب فيه شي مرة قد ما حكالي عنو جارنا حنين
وركبوا هالترين وكان جدعان مبسوط كتير
لأنو عم يحقق حلمو، ومو عرفان شو المصير
ومرق الوقت لصارت الدنيا الظهر ووصلوا على سوق الهال
ونزّلوا هالعتال
وفردوا الخضرة والولد مسهِّم ومالو هون بالمره
بس حاسس أنو بيعرف هالمكان
وأنو شايفو من زمان
وصار يتذكر أحداث مو معروفة
دوَّامات براسو وكأنو واقع بطابوسة «٥»
وصار يتذكر ختيار

يتذكر في سحارة عليها برَّاد شاي
وبالأثناء نكشو أبوه أبو جدعان وقلو قوم عبَّي مي
من حنفية الفيجة لقدام شوي
لنرش شليف هالبقدونس
هلأ بيرتخي وبفونس «٦»
ولا تتأخر أحسن ما أضربك لكمة
فراح هالولد وضل يمشي وكأنو رجليه لوحدها عم تمشّيه وتاخدو هيك لوصل لحارتو
وكان عم يجول براسو شريط من الأحداث المخربطة شريط مبحَّشْ
كأنُّو عم يشوف شي وهو معمَّشْ
فسمع شحَّاد عم ينادي «يا عاطي يا وهَّاب يا معطي يا مسبِّبْ الأسباب ورازق العباد».
فركد عليه وقلو مين المعطي أنا سمعان هالاسم
فتفاجأ الشحَّاد وقال لو: الله العاطي المعطي الوهَّاب
مين أنت بلا صغرة يا حبَّاب؟
كأني بعرفك من زمان
فاندار وشاف واحد عم يبيع ملضمينا
فركد بسرعة وقالْ لو: عمي دخيلك شي شقفة طعمينا
وهو عم يتذكر هالكلمة وهالأكلة موغريبة عليه
وتذكر واحد كان حاملو وعم يطعميه مصاص
ورح يجن وكأنو براسو في رصاص
فلحقو الشحاد وقالْ لو: يا ابني ملامحك مو غريبة عليَّ
إنت ابن مين يا عمي
قالْ لو: أنا جدعان ابن أبو جدعان البدوي
قالْ لو: يعني أنت غريب
بس والله أنا حاسس أنك من هالحارة قريب
فقال لو: نحنا من دوما وفلاحين وعنا بستان
بس أنا حاسس أني بعرف هالأرنة من زمان
وأشياء غريبة عم تمرق براسي
كأنها ذكريات من أساسي
وشغلات قديمة من زمان بس مغبشة ما لها معنى
فقال لو الشحَّاد: تذكر يا ابني ووصفلي ولا تكون أجدب بلا معنى

فحكى لو وقال لو: شي ختيار عم يطعميني ملضمينا
شي سحَّارة على إبريق شاي
شي واحد حملني وعطاني مصاصة
وسوق الهال تذكرتو مع أني أول مرة بنزل فيه ليش يا ترى
والعربايا وعرنوس الدرة
وحاسس قلبي فيه غصة وعم أبكي وبدون ما أشكي
فطار عقلو هالشحَّاد
وتذكر المصيبة إلِّي حصلت من زمان بهالبلاد
وبمصيبة بيت الشربجي وإلِّي على أثرها مات الجد والست
وبقيوا الأم والأب عايشين بلا ولد وبكمد
فقال لو الشحَّاد لجدعان:
تذكرت أنُّو في كان ختيار قاعد عالعتبة وجنبو ولد صغير
وعم يطعميه ويشرب شاي وحاطو على كرسي أو خشبة
ومين حملو وطعماه مصاص
وضل يمشي معو وهو عم يحكي هالحكي ليذكرو لوصل لباب الدار
فركد هالصبي على باب الدار كأنُّو رفسو حمار
وقال:
جدي وين جدي
وتذكر الحادثة وأنُّو أخدو رجَّال وركَّبو الترين
وكان الولد عم يبكي وقد فاق من النوم
وصار الشحاد يذكرو بأصلو
أنو صار عندو إحساس قوي أنو هو عبد المعطي لا بعدو ولا قبلو
فأخدو ع المخفر
وجابو أبو جدعان ليعترف بالحقيقة بالمختصر
واعترف بالسالفة والحقيقة
بعد ما أكل قتلة وبهدلة وضيقة
وجابتو الشرطة لعند أهلو
ليتعرَّف عليهم على مهلو
وشافتو أمو وعرفت أنو ابنها بإحساسها
قبل ما يقول لها وقبل ما يدلُّوها عليه ناسها

وداخت وما حست بعروق راسها
ولما فاقت صارت تبكي وتضحك وعانقتو
وما عادت فلَّتتو
والأب كان يشكر ربَّو ويستغفر
ويقول هي خطيّة مرتو الأولانية
والله عاقبني على فعلتي فيها وبلاني هالبلية
الحمد لله يا ربي إلّي ما بتغفل ولا بتنام
على عبدك إلي على الحق بينام
والولد عبد المعطي، لأنو أصلو منيح وما صفت يلي ربتو الحجة أمونة
جابها وقعدها مع أهلو ليطلع جوزها من الحبس لأنها كانت عليه حنونة
وراح واشترى لها ملاية
ولأمو أحلى عباية
صحيح النهاية سعيدة
بس كانت بعيدة

«١» برّاد شاي: إبريق شاي
«٢» ملضمينا: فستق مغطّس بسكّر محروق
«٣» الزنكل: العوّامة
«٤» ساكو: مانطو.
«٥» طابوسة: بركة ماء
«٦» بفونس: يذبل

٢٧ قطاع الروس صفاف الرفوف

هالحكاية حكت لي ياها ستي درية
وقت كنت زايرة عندها أنا وبنت عمتي بدرية
كان يا ما كان في سلطان من هداك الزمان
وكان هالسلطان جبار ومتجبر على العباد
وأمّرو للسلطان بدُّو يتنفذ لو كان عناد بعناد
وكانت ميّتة مرتو من زمان
وكان عندو بنت وحيدة
وكانت بجمالها فريدة
واسمها شهناز
وهي فعلاً جميلة الجميلات
وصوتها عذب وإلو رنّات
وبتقول للقمر قوم لأقعد بدالك
وأبوها بيقولّ لها أنا رهن إشارتك ومرادك
بس بالحقيقة كان يخاف عليها كتير
وما يخلّي حدا يشوفها حتى لو كان أمير
لأنو كان يخاف يقوم حدا يحبها
ويطلب يتجوزها
ويضلّ وحيد بدونها
فما عاد خلاّها تلمح أي رجّال عيونها
ومتل ما قلت كان صوتها لشهناز
حلو كتير وحنون وهماز
وكل يوم تغنّي لأبوها وتطعميه مشاوي وبيواظ«١»
الخلاصة.
يوم من الأيام كانت عم تغنّي لأبوها بصوتها الشجي إلي كأنُّو بالأحلام
فسمعها ابن الوزير ربيع الدبلان
وصار فيها هيمان
وطلبها للزواج
وكأنُّو سكب على راس السلطان كاز
وشعل قلبو بالنار
ورفض طبعاً السلطان ووصفو بالحمار

وحرمو من حبو
وحرم بالمقابل بنتو
وفكس هالجازة وقالّ لو مالك عندي عازه
وكل ما يتقدم إلها حدا للجواز يرفضو السلطان
حتى كمان ما يرضى يشوفو السلطان
ويصير العريس على حظو ندمان
ويوم من ذات الأيام
الله عاقب هالسلطان
لأنو متل ما قلت متجبِّر ومتأمِّرْ
وظالم ومالو عادل
فالله عاقبو بـ بنتو
يبدو أنها بلعت مع الأكل فرخ حية صغير كتير
وبلَّش يكبر ببطنها لصار كبير
وصارتْ تتسلى من قلة أكلها
وتتأوَّه من وجعها
وفجأة فاقت من نومها وخرست ما عادت تقدر تحكي أبداً
وصار بقلب السلطان غصَّة
كأنها جمرة أو بحصة
وكل ما يشوفها يبكي عليها ويندب حظها
وكل هالمدة وهيِّ عم تتعالج
وهو من هالخرس إلي صابها عم يدعي على حالو بالفالج
وما كان حدا يعرف شوبها ولا يحزر مرضها
فبعث منادي ودقاق طبول
ينادي بأهل الشام عن الأطبَّا ولو كان بالأستانة وإستنبول
وأعلن الزعل على أهل الشام
ووقف الأفراح والولائم
والأهازيج والعزايم
بين بيوت أهالي الشام
لحتى تشفى بنتو
وينفرج ويطلع من علتو

وصارت هالأطبَّا والحكما تتهافت
لحتى تشوف بنت السلطان إلي كان مخبيها عن عيون الناس
وكانوا يرجعوا بلا فائدة وبلا إحساس
يعني فالج لاتعالج
وما حدا من الحكما عرف سبب خرسها ولا علاجو
فأعلن السلطان
أنو كل حكيم بيفشل بعلاج بنتو
بيقطع راسو السياف
وبينحط عالرف مداسو
وإلي على إيدو بنتو بتشفى
من بختو ونصيبو بتصفى
ومضى كم أسبوع
وما عاد بيَّنْ ولا حكيم وكلو خايف وقلبو مقطوع
وبعد فترة أجا حكيم أعشاب
وقالْ لو للسطان: راح داوي بنتك بيومين يا حباب
فقالْ لو السلطان: تذكر الحكم إلي أصدرتو
وإذا ما شفيت ومرضها خف
راسك رح ينقطش وينحط عالرف
قال لو الحكيم: وإذا شفيت
لبيتي بتكون مشيتْ
وفات على مخدعا هالطبيب
وبلَّش يغلي بهالأعشاب ويسقيها معها حليب
يغلي ويسقي يغلي ويسقي
بدون فائدة لخلصو اليومين
وارتعب هالحكيم وصار خوَّاف
والسلطان نادى للسياف
وقطعوا راسو وحطوه عالرف
وبعد كم يوم تشجَّع حكيم تاني وكان هالحكيم بيداوي بسمّ البراري
يعني سموم الأفاعي، والعناكب والعقارب
وكان أبوه بيشتغل عند السلطان حاجب

وعجبو للسلطان
وقال لو: إذا شفيت بنتي بساوي أبوك وزير
وبجوزك بنتي وبتصير أنت الأمير
وصار هالحكيم يكيل ويزين
مكيالو موزون وعيارو رزين
ويسقي لهالبنت العصير فيه كم نقطة سم
وصار يطلع من تمها دم
وشي مع الشاي يسقيها
وشي مع المي يسقيها
ورح يخلصو اليومين وصار يدعي لربو أنُّو يشفيها
أحسن ما يطير راسو من رقبتو إلى باريها
وطبعاً بدون فائدة وبدون خواص
وانقطع راسو وانحط على الرف مع المداس
وبعد كم يوم
أجا حكيم بيداوي بالقرآن
بس هوَّ بالحقيقة مشعوذ أو ساحر كمان
وصار يقرا عليها ويقول: اخرج منها فأنت رجيم
وعلى أساس داخلها في شيطان والله العليم
وطبعاً فشل.. وانقطع راسو بالساطور
بإيدين السياف سمهور
وانحط الراس على الرف
وما فادو سحرو ولا شعوذتو هالمسطول
وضلوا هالأطبَّا والحكما يجو لحتى يداووا بنت السلطان
وكانوا طمعانين بالحكم والرياسة والعز
يصير كل واحد لراسو عدمان ولأنهم كان هدفهم السلطان والنسب
انصفَّتْ رؤوسهم على الرف
وكل راس ألو لقب
شي حكيم أعشاب أبو ذناب
وشي حكيم السم إلي نابو الهم
وشي حكيم السحر إلي غرَّقو سحرو بالبحر

وشي حكيم التغذية بالخضرة إلي فطس بالمرة
وشي حكيم الحبوب إلي سكَّر على حالو الدروب
المهم.
انتلت الرفوف بالروس المقطوعة
وصارت الناس تسمِّي السلطان «قطَّاع الروس صفَّاف الرفوف»
لحتى انعرف السلطان بهاللقب بأهل الشام وصار اسمو معروف
فوصل الخبر لرجال ألو قيمتو
من حي قديم من أحياء الشام
وكان هالرجَّال زكرت وقوي وذكي عالتمام
وكان متطلِّع وفهمان
وحربوء ومالو مثيل بالشطارة
وكان أبوه مختار العمارة
فقال لأهل ديرتو
أنا رح خلِّص هالسلطان من حيرتو
فخافوا عليه أهلو وجيرتو
فقال لو: أوعك تجن وتروح هلأ رقبتك بتطير
وعلى الرف بتصير
يعني معروف هالمصير
وطبعاً ما رد على حدا
لأنُّو كان واثق بنفسو على طول وعلى المدا
وكان اسمو سلمان
وراح وقصد قصر السلطان
وقال لو للسطان: مْهلني يومين لترجع هالصبية تحكي
بس بدون ما تدَّاخل بشغلي وتنقّ وتشكي
فوافق السلطان
واعتبر هالرجَّال فنان
وأجا الرجال وطلب من الخدم بالحال
صاج كبير يحمو فيه تنكة سمنة
ويقلوا فيه مية بيضة نَيِّة
فتفاجأ هالسلطان بقا سيدي

وضل ساكت وقال بنفسو: رح أقطع راسو بإيدي
وأقطع لسانو شقف قد المجيدي
وأجا سلمان قال للخدم
حطُّوا هالصاج إلي متل الحلة
بنص الليوان واشبحوا هالصبية بالحبلة
يعني رجليها للسقف
وراسها على الأرض
ويكون مدندل راسها ولسانها فوق الحلة
وجنّ جنونو هالسلطان وخاف على بنتو
وكان رح يموت بعلتو
فنادى السياف وقال لو: هات الساطور بالحال
هذا عمل جنان وشي من المحال
فقال لو سلمان
باقي يوم من الوقت يا مولاي السلطان
ولاَّ بَّدك تفكس الاتفاق وترجع بكلامك وتكون ندمان؟
فسكت السلطان
لأنُّو عطى وعد لسلمان
وطبعاً هالخدم نفَّذوا أوامر الرجَّال
وشبحوا الصبية بالحبلة
من السقف للأرض وتحتها البيض المقلي ألي بالحلة
ولسانها مدندل للأرض
وتمها مفتوح بالعرض
ونطر عليها ساعة من الزمن
فطلع من بطنها من المعي للمري
حنش كبير وصار يركد من تمها ويسحب للبيض المقلي سعي
فوقع بالمقلاية وغرق بالسمنة الحميانة
لأنو الحنش بيحب البيض وبيلحق ريحتو
وكان مسكِّر لها الحلق والمري
وكان سلمان بشفاء الصبية هوِّ هني
وانبسط السلطان وطار عقلو من الفرحة

وضوَّا الشام بقناديها
سبع تيام بلياليها
ووزع الأكل والدبايح
على أهل الشام عالجاية والرايح
وزيَّن الشام من المرجة لكفرسوسة كيوان والربوة
وشفيتْ هالصبية وصارت متل اللبوة
وأعلن السلطان الأفراح بكل مكان
وجوَّز بنتو شهيناز للرجَّال سلمان
ورجعت تغنّي هالصبية
وتقول:
«سقيت بدموعي الشام سبع سطول
لحتى أجا محبوبي ونجَّى قلبي المعلول
الله يعمرِكْ يا شام
إلي منك نصيبي سلمان
ويا ربي
اغفر لأبي قطَّاع الروس
لأنو تاب وما عاد من المجوس»

«١» بيواظ: سلطة مع المشاوي بصل وبقدونس

٢٨ الطمع ضرّ ما نفع

كان يا ما كان
كان عندي صديقة اسمها صباح
وهي من الناس الملاح
حكيها حلو ولماح
حكت لنا قصة من زمان
من حكايا أبوها الفنان
رح أسردها إلكم ع التمام:
كان في ملك من الزمان البعيد
محبوب ومهيوب بس عنيد
وأمرو مطاع بأي زمان وبأي أوان
وعندو عز وجاه وسَلَطين ووزرا
وخدم وحشم وأمرا
وأمورو كلها ميسَّرة
وكلو لخدمتو ناطر
ولتنفيذ طلبو كلو حاضر
لأنُّو كان ملك عادل
ويوم من الأيام ابن هالملك
شاف بالمنام
الأميرة بنت الملك عرمكان
إلِّي بلادو ورا الصحرا جنب الجبل البردان
وكأنها عم تنادي لو
وتقول لو دخيل الله دخيلو
فحس أنها بخطر
وقال لأبوه الملك: لازم نبعت لها نجده بالمختر
وابن هالملك حبها وقلبو تشغّلاً فيها
رغم أنو ما شافها إلا بمنامو
وقرَّر يتجوزها وما حدا قدو وما شايف حدا قدامو
فرضي الملك يلبِّي طلب ابنو الهيمان
واستدعى
الوزير غطفان
والمتصرف صطيفان

والقاضي دهمان
وشرح لهم القضية
وقال لهم: جيبوها ولو كانت بأبعد برية
وكان الوزير فنان نحات ما لو مثيل
والمتصرف كان رسام شهير
والقاضي كان عادل وتقي وما بيحب كتر الحكي
فقال لهم الملك:
ما لقيت أحسن منكم لهالمهمة
رح أبعتكم لعند الملك عرمكان لتخطبوا بنتو لحضرة الأمير
وترجَعُوا بالجواب والعروس وخدوا معكم الخير الوفير
وطبعاً كان أمرو مطاع
وما بيرتد ولو كان مستحيل وغير مستطاع
وهيؤوا الجمال للرحيل
وضبوا أغراضهم والزوادة والهدايا لبنت الملك عرمكان
وقت سمعوا صوت العصفور الطنان
وقت طلوع الضو قصدوا الرحمن
وكانت الطريق طويلة
وكلها صحرا وعفرا وما لهم حيلة
فاتفقوا يرتاحوا بالليل وينناموا
ويمشوا بالنهار حتى ما يضيعوا بالطريق ويحتاروا
واتفقوا يقسموا الليل تلت تلات
يعني واحد بيسهر واتنين بيناموا بسبات
وبهالحالة الكل بيناموا والكل بيسهروا وبيحرسوا بعضهم البعض
من ديب جربان أو واوي هربان أو من قاطع طريق
أو من شي حنش مشوّب يكون ألهن متأهّب
المهم. وهنّ بالصحرا ماشيين بلَّشِتّ تغيب عليهم الشمس
فقالوا لازم نرتاح أحسن ما يجي علينا الليل ونروح معس
فشافوا شجرة كبيرة ويابسة عدّنّو «١» حطبة دبلانة
بس مخيمة على الأرض ولو كانت عدمانة
قعدوا تحتها وتغيُّوا بظلها
وأكلوا لشبعوا وحكوا وسردوا لتسلُّوا

وسهروا لنعسوا
فأجا الدور بالحراسة على الوزير غطفان
فقعد يشرب الشاي بقا سيدي
لحتى يضلّ سهران وما تغمض عينو وجفنو
ويحرس رفقاتو النايمين ليجي دورو بالنوم ويريّح جنابو وسفلو
فقعد يفكر بالملك وابنو ومنامو
وبالعروس إلي رايحين يجيبوها لقدّامو
وأنها يا ترى بتستاهل كل هالتعب والعناء
وأنها قدّيشها حلوة وجميلة
لسلبت لبّ الأمير؟ وبعتهم يدوّروا عليها بسراج وفتيلة
فلمح غصن من الشجرة يابس وكأنّو مأروف
فشد لعندو لحتى كمّل عليه وكان متل الحطبة متل ما هو معروف
المهم:
قال لنفسو مشتهي أنحت على هالغصن وجه الجميلة
متل ما بتخيّلها بعقلي ومتّو باسهر ومتّو بالتهي
ولشوف هيّ أحلى ولاّ إلي بخيالي أحلى
وصار ينحت على هالغصن وجه الأميرة إلي بخيالو
لطلعت كأنها من الحور العين
وكأنها من ملائكة السما وألله ما خلق متلها اتنين
لبين ما خلص النحت على الخشبة
كان خلص دورو بالحراسة بدون تعب
فسند الخشبة المنحوتة بكعب الشجرة على جنب
وقام ليفيّق إلي عليه الدور بالحراسة بكل أدب
وكان المتصرف صطيفان
وبالنوم كان غرقان
المهم فيّقو الوزير. وقام ليقعد بدالو
وتسطّح الوزير ونام لحالو
فقعد يتمطمط هالمتصرف
ويسعل ويمخّط يضرب شو مقرّف
وشرب مي وقعد ياكل ترمس ني
فلمح بكعب الشجرة هالغصن المنحوت

فطار عقلو بهالمنحوتة ومن شطارة هالوزير إلي من بيت البرغوتة
فقال لنفسو والله ما حدا أحسن مني
رح أرسمها وجسّدها ع الورق وطلّعْ فيها مهارتي وفني
وخلّيها تنطق عالورق
فرسمها ورسم ملامحها وشعرها الأسود إلي على عين حدا ما مرق
ورسم هالعيون الدبّاحة
والنظرة كانت لمّاحة
يعني شي بالخيال حتى انبرع بجمالها ومعالمها
على قد ما أتقن رسمها وملامحها
هيك لصار وقت نومو
وصحي القاضي دهمان ليقوم ويقعد بدورو
وقام المتصرف لينام مكانو
وحطّ هالرسمة بكعب الشجرة
وغفل بالمرة
فقام القاضي وتوضّا وصلّى
وقعد ياكل زبيب وتين ويتحلّى
فلمح الغصن المنحوت بها لجميلة
وشاف الرسمة كمان إلي رح تنطق عالورق
وحس كأنها عم تقول:
أنا إلي نحتني غطفان
ورسمني صطيفان
وأنتِ تمثّاني ألك يا دهمان
فطار عقلو من جمالها
ومن روعة تعابيرها وملامحها
وقعدت بعقلو وخيالو
وتمثّاها لنفسو ولحالو
فشق عليه الفجر وقام وصلّى
وهو عم يقول لنفسو أنا تقي وورع
وألله راضي عني وأنا بحب ربي ولع
رح ادعي لربي يبعت لي هالحورية
لبل قلبي فيها شوية

وصار يدعي ويناجي ربُّو
أنو يبعتلو هالجميلة بدربو
وعند شقوق الضو لبَّى طلبو ربُّو
وبعت لو ياها بالحقيقة
لحم ودم وشحم، يعني حرمة حرة بريئة
وطار عقلو من فرحتو هالرجَّال
وصار يقول لها: إنتِ حقيقة ولاَّ خيال
وفيَّق رفقات الطريق
وقالْ لهن: شوفوا شو صار مع هالصديق
فكل واحد طمع بالجميلة وأنو لازم تكون ألو مو لغيرو
فأجا الوزير النحَّات وقال: تبارك الخلاَّق فيما خلق
أنا إلي نحتّها طول الليل وأنا بكون إلي سبق
ولازم تكون من نصيبي لأني أنا عملتها عالخشب مو عالورق
فأجا الرسَّام المتصرف
وقال: لا والله ما حدا بياخدها غيري
أنا رسمتها بإحساسي وبنبضي وبضميري
فقال لهن القاضي:
بس أنا طلبتها من ربي
وحبِّيتها من قلبي
ودعيت لربي يدب فيها الروح ويحطها بدربي
يعني أنتو نحتوا ورسمتوا حلم بحلم
وأنا حصلت عليها حقيقة وعلم وهيِّ إلي ولازم تكون إلي
واختصموا وتخانقوا لمين لازم تكون
وضلُّوا عم يتخانقوا عليها طول النهار
ولازم يرجعوا لعند الملك لينصفهم ونزل عليهم الليل الستار
وكل واحد عم يقول: الملك رح يردها إلي
وبهالأثناء
هربت الجميلة
وضلَّت تمشي وتمشي وما تعبت
هيك لتاني يوم لوصلت
وفاتت للقصر وداخت ووقعت بالأرض بحضرة الملك لأنها هلكت

وأجت الأطبَّا والحكما وصحتها
وصحيت وحكت للملك قصتها
فقال لها الملك:
أنت النصيب يلي استنَّاه ابني فيه يصيب
وحكى لها حلم ابنو
وقال لها: من وقت ما ابني شافك بالمنام
هوِّ فيكي هيمان
وشافها الأمير
وطار عقلو فيها هو الأخير
وحبها وحبتو
وصار الفرح واندقَّت الطبول وانعزمت المغاني
سبع تيام وليالي
ولما وصل الوزير والمتصرف والقاضي
لبوابة القصر من قدَّام
فشافوا الأفراح عم تنقام
والولائم إلي عم تنفرد ع التمام
وعرفوا أنو الملك قام الأفراح والليالي الملاح
لعرس ابنو على الجميلة الصبية إلي وجهها متل نور الصباح
فقالوا: إلي سبق أكل اللبأ «٢»
وانصابوا بخيبة أمل وقعدوا يندبوا حظهم بجنينة القصر
وينقهروا على فعلتهم قهر
فضوَّى عليهم القمر
وقت صار بدر
وقال لهن: الطمع ضرّ ما نفع

«١» عَدَنُو: مثل.
«٢» اللبأ: أول الحليب.

٢٩ صحون السفرة

أنا الراوية درية كشتبان
كنت أشهر طباخة بمطبخ السلطان
أوغلي باشا ومرتو ناريمان
وكنت شاطرة بفنون الطبخ وترتيب السفرة
وبلمح البصر تكون حاضرة من إيدين هالمهرة
ومع الأيام كبرت وتعبت
وما كان إلي حيل أعمل رز بالدست
فاستغنى عني السلطان
لأني تعبت بخدمتو وهو عرفان كمان
وصرت كسلانة حتى بـ بيتي
وجوزي دوم حردان
يمكن أنا نسيت الشغل
يا أما صرت أمشي متل النمل
الخلاصة: أجا جوزي بيوم من الأيام
وقال لي: قومي حطّي العشا أنا جوعان
وتسكّجت على حالي
لقوم أعمل هالعمل.. كأني رايحة أطبخ جمل
المهم: قمت لحطّ العشا لجوزي
ونسيت ألبس بابوجي
وفتت عالمطبخ جنب النملية
فسمعت صوت خناق كأنو صوت عفريت بالبرية
أتاري !!
قطرميز الزيتون الأسود عم يتخانق مع الزيتون الأخضر
فقالْ لو الأسود: أنا بدّي أقعد بصحن صفِحْ
قالْ لو الأخضر: أنا ما بتفرق معي المهم أقعد جنبك وبمطرحي
وقال لي الزيتون الأخضر: لا تنسي رفقاتي الليمونات
لأني ما بنبسط إلا إذا كانوا معي هالجارات
فحطّيتن متل ما بدهن وبالصحون لقّحتن
فأجت اللبنة وقالت لي: أنا مدّيني بصحنك وامسحيني شوي شوي
وسوّي جوانبي وبأصبعِكْ لا تلمسيني

ورشي عليّ شوية نعنع
حتى عليّ يلزق
ورشّي عليّ الزيت.. وحطّيني بصدر البيت
ولما شافت الجبنة صحن اللبنة ارتخت بالجملة
وقالت لي:
قطعيني قطع سميكة لحتى أتحمَّم بمَيّ غليانة بدون ليفة
ورشّي عليّ المسكة دراس لحتى تحطّيني ع الراس
بطَعمتي الطيبة
ولاتنسي تعصريني يا جدبة
ورشّي عليّ حبة البركة
وحطّي تحتي شبكة لتصفى ميتي وتجمد لحمتي
وبعدها أجت الجبنة المشلَّلة وقالت لي:
دخيلك أنا أوعك تغليني
بينفرد شعري وبدوب من قهري
اغسليني بميّ باردة
لأني بكون مالحة زيادة
وانفضيني ولقحيني على جنبي ببلادة
فسمعتها المدقوقة وقالت لي:
دخيلك أنا متل ما أنا بقعد بصحنك
حتى ما أفرط وتاكلي بهدلة من بعلك
ورشّي عليّ سمسم وحبة البركة
حتى الله يطرح بيّ البركة
فأجت اللبنة المدعبلة وقالت لي:
أنا سهلة عليكي احمليني بملعقة بين إيدكي
وحطيني بصحنك وحطي عليّ زيتاتي
لأنو هدول بينعشوا حياتي
وبلاهن ببس وبأرمد«١».. وما بنّاكل وبقدقِدْ«١»
فسمعها المكدوس.. وصحي من الجلوس
وقال لي: أجا دوري شيليني بديَّاتك وحدة وحدة
حتى ما أفرط بشوكتك يا دبة

وسطحيني روس روس
ولا تنسي زيتاتي.. هدول سر حياتي
ولا تخلّي جوزك يمعسني معس
يبلّش فيني من الجناب.. حتى يظلّ منظري جذاب
هيك بيحب ياكلني جارك ممدوح
اسألّيه إذا بدّك قبل ما يروح
لأنو منفوخ بطني منفوخ
من كتر ما حشيتيني لجوزك صفوح
ولقيت حالي رح أخلص من حط العشا
فسمعت صوت ناعم وما بينتسا
أتاري هَيْ الحلاوة، قالت لي: رح تنسيني يا حلوة
حطّيني قطعة قطعة وصفّي على وشي الفستق الحلبي صفوف
لأنو من طعمتي ما في مني ألوف
أنا شامية واسمي معروف
ولا تحطي جنبي المي
لأنو ما بيخلّي طعمتي بتمّك ولاشوَيْ
وفجأة !!
ركد الزيت وقال لي: حطي أخي الزعتر جنبي بالصينية
حتى ما يشرُّو دموعي لأصَلْ لعندو وسخلك صينيتك يا مزرية
ونبق راسو هالخيار وقال لي: سمعت أني أنا كمان من الزينة زيّتي فيني هالسفرة
جنب الجبنة أو اللبنة أو الزيتون بالمرة
لأني شفتك رح تنسي ريحة الخيار
وتتركيني بالبراد محتار
فغارت منو البندورة وقالت لي:
شو ما بيصير لي بسفرتك شي دورة
هلاّ بشوّب وبفور عليكِ شي فورة
حطّيني جنب المكدوس
أحسن ما يقعد بلا رفيق ويبقى حزين ومتعوس
وقبل ما أحمل هالسفرة وامشي
نادى لي صحن المعُّود

وقال لي: أنا عم استنّاكِ وملّيت من القعود
حطّيني بسفرتك أحسن ما يهجموا عليّ النملات اليهود
ولا تنسي الزبدة الباردة جنبي
أحسن ما يسخن خدي
الخلاصة.
صفّيت هالصحون
وكلّو رضيان وممنون
ومشيت لحتى وصلت لعتبة المطبخ
سمعت صوت عم يناديلي كأنو من المسلخ
ويقولّ لي:
يا دبة يا جدبة
لك تضرب النسوان كلّها لأجلك
يا هبلة ويا سخرة
شو نسيتيني !!
أنا سيد السفرة
وركدتّ ولبيت طلبو وجبتو
وبعبي عانقتو
لأنو مالها طعمة هالسفرة
بدون سيد السفرة إلي بحبو
وخاصة إذا كان راسو بعبو «٢»

«١» بأزمد وبقدقد: أي ينشف من مائه
«٢» راسو بعبو: خبز به طحين ونخاله وسميك

٣٠ طباخة شامية

الداعية صبيحة ذواتي
وكنت شايفة حالي ومعتزّة بذاتي
وأنا من القنوات
وعيلتي كلها من الذوات
يعني قيمة ومركز
ونصفهم كان موظف
كان أبي عرض حلجي«١» بالصبورة
وعمي آذن بمعمل سحاحير إلي بجوبر
وخالي عزوز بياع صبَّارة على كتف نهر تورا
وولاد عمتي كانوا يبيعوا بالة
بحارة باب الصغير إلي جنب الجبَّانة «٢» وأحياناً يشتغلوا بالعتالة
وابن عمي عبد الستار كان عتال عالحمار
وعمتي أمينة كانت لفَّاية لبيت أبو جميلة بيت المختار
وعمتي فريحة كانت شغالة صوف وكانت تشك خرز ملفوف
وخالي رؤوف كان يبيع هريسة ع الصواني
بالميدان الفوقاني والتحتاني
وخالتي درية كانت قوية ومكيسة «٣» حمام بالبزورية
وبنت عمتي إنعام كانت داية شاطرة ع التمام
وكانوا يقولوا لها أم شاكر
وما بتولِّد إلا صبيان
وخالي أمير كان كندرجي شهير
والمداس من تحت إيديو بيلبسو وزير
وعمي شفيق عندو عربايّة لسانات وروس بسوق العتيق
وستي غسالة وكانت من زمان بلأَنة «٤»
يعني عيلتي مسبعة الكارات
وإلها سمعة طيبة بكل الحارات
وكانت أمي بتشتغل طباخة لمطعم صغير بالعقيبة
وكان بيتنا بالقنوات بحارة على كتفها كان في نهر صغير
بكعبو في شجرة كبيرة كتير
وجنبها بياع اللبن أبو شهير كان من بيت البير

وجنبو بياع البن أبو هيثم
ومواجهو السمان أبو مروان
وكنا ساكنين بـ بيت عربي قديم ومتختخ كتير
وبابو خشب جوز ومدقوق عليه كوم مسامير
وسقَّاطة الباب نحاس مصدِّي
معلَّق فوقها حدوة حصان مأضِّي «٥»
وفيه أرض ديار كبيرة
داير مدورها شجرية ليمون ورمان وياسمينة عراتلية
تحتها كانت القعدة هنية
خلاصة القول وبلا طول سيرة
كانت تقعد أمي بأرض الديار تقشِّر خيار
وتطبخ على بابور الكاز «٦» الطبخ للمطعم
وأنا عم أتفرَّج عليها وأتعلم
وكبرت وصرت طبَّاخة مشهورة
عرفتني الحارة بصبيحة السنيورة
ووصل صيتي لباب الجابية لعند القاضي
فبعتلي خبر مع نائبو صمادي
وأنا بالحقيقة ارتعبت
لا طبخت أكلة فيها سم ولا سممت
فرحت لحضرة القاضي
لأعرف شو تهمتي ولاَّ هوِّ كلام فاضي
فقال لي القاضي: أنا سمعت عن طبخِكْ ونَفَسِكْ بالطبخ
قالوا بالحارة شي بيدوِّخ دوخ
وأنا بدي جرب طبخك يا صبيحة
وإلك مني عطية منيحة
فقلت لو: أنا خدَّامتك يا حضرة القاضي
طلوب واتمنى ولا تستنى
أنا جاهزة بالحال
لحتى أطبخ لك طبخ مالو مثال
فقال لي: بعد بكره عندي وليمة

للسلطان والوزير والحاشية العظيمة
وبدّي تعملي لي أكل أشكال وألوان
تحكي عنو كل البلدان
ومن الحلو أكلات منوَّعة
ولا يكون طبخك سَلْوأة
بدي تبيِّضي وجهي قدَّام الحكام
وإيَّاكِ تسودي وجهي لأنك بتصفّي بخبر كان
الخلاصة.
فتت ع المطبخ لبلّش بالطبخ
فشفت اللحمة قاعدة عم تستنَّاني
وقالت لي:
إذا بدك تطبخيني اعرفي شو تقطعيني
اعمليني شقف متله وهيِّ بتنقام من الباط يا بغلة
واعمليني راس العصفور يعني أكبر من الدبور
واعمليني مفرومة وناعمة وخشنة عالسيخ يا محتشمة
وموزات بعضمها وموزات مشفَّاية
ومطحونة وهبرة وبدون لية
ومسوَّفة للمحاشي ومفرومة بحتَّية
والعظام لا ترميهم أحسن ما إبليكي بشي بلية
وريَشْ كمان لليبرق والعصَعيص والرقبة بصير الأكل مسقسق
المهم. قسمت الطبخة متل ما بيحتاج الطبخ
وبلَّشت أسلق وأشوي وأقلي ومسحتهم بالبهارات مسح
وأجا الرز وقال لي: أقلي شعيريتي حتى تَزْهَرّ
وحطي قياس المي وقوّي تحتي النار
لبلّش أنشف ويطلع بخاري يا ستار
ولا تحركيني قبل ما أنشف
بنخبِصْ وما بعود بنفع ولو كنت مَتْسَفْ
فنادى لي مشكاك البامية اليابسة
المعلق فوق النملية «٧» وقال لي انقعيني بمي دافية لأطرى
ونشفيني قبل ما أنقلى حتى ما زيبق بوجهك بالأحرى

فشافتني الملوخية الخضرة وقالت، دبليني شوي بالفي
واقليني بالسمنة البلدي والدهنة المسليّة شوي شوي
ولا تحطّي عليّ المي
لأني بلزق ببعضي وما بعود برضي
وشافتني الشيخ المحشي وقال لي: أنا شيخ المحاشي
لأنو حشوتي كلها لحمة، ولبناتي هدُّوا ذاتي وأساسي
أشوي لبني على مهلك
مع نشا وبيضة من هون مو من عند أهلك
واحفري كوساياتي بحنّية ولا تجوري عليهم بحفرة قوية
وأجت الكبة وقالت
أنا الكبة وما بصير طيبة إلا باللحمة الضاني يا دبة
ومو مشانك مشاني لحتى معك انمد
وبالكف انلف
وحشوتي المقلية لحمة وبصلة مو جوز
والمشوية دهنة وشحمة ولحمة وجوز
ودبس رمان ورمان حب كمان
والحميص لحمة ناعمة ومفرومة
والصاجية على الصاج مبرومة
والمشمشية باللبن معها فولية
والسَّمائية بمرقتها سمَّاء
والكرزية مطبوخة مع الكرز
والسفرجلانية محلونة وفيها سفرجل
والكبة خلقت لحلب وتغنُّوا فيها وعملوا فيها العجب
ونادى لي اليبرق وقال لي: أوعك تنسى فرشتي
أحسن ما أنشف من قهرتي
افرشي تحتي العصعيص والرِّيَشْ والدهنة متل الليف
وصفيني صفوف صفوف
وتقليني بتتقيلية فخَّار وسدِّي فيني الحفوف «٨»
وحمضي مرقتي بالحصرم واخلطي توماتي بدهناتي
وأجت الشاكرية وقالت: أنا أكلة شامية

كتري فيني اللحمة كَرَديش مع بصلة صغيرة مو مغشوشة
وبضيعة قارة بحطوا لي درة مجروشة
وقال لي الرز بفول والبزاليا: طبختنا ما بدها شطارة
افردينا بجاط مرتّبْ مو بسحارة
وقال لي الداوود باشا: أنا اسمي من السلطين
وهالأكلة أصلها تركية وصارت بمطبخك شامية
دعبلي لحمتي دعبلة
مع بصلة مقلية بمَيّة بندورة وارميني فيها هرولة
وأجت الست اذبَّي وقالت: غيري ما بقي
اسلقي عدساتي ومعكروناتي
ولا تنسي عليّ الثوم والكزبرة ومن الليمون حمضاتي
ولحقها أبو بسطي وقال لي: كلي مني لحتى تنبسطي وصلي ع الرسول
وكلي مني بالسنة ولو مرة قد المكيول
وقال لي الطباخ روحو: أنا بدي العضام لحتى معهم نام
وأجت الرشتاية أنا عدس وحامض وكزبرة
بتمشي معي الحكاية
وقال لي: الحرَّاق إصبعو ركزي حمضاتي من التمر هندي
وبالعجين ساوي خبزاتي
ولا تحرقي إصبعتك بمرقتي الغليانة
كوني بطبخك فنانة
وأجت المحاشي وقالت اعملي مني أشكال ألوان
كوسا وكواز وفليفلة وبيتنجان
وقال لي اليالنجي: أنا أصلي تركي
لا تقولي شامي ولا كردي
وقالت لي السجقات: أنا والمقادم والحفاتي رفقات
ولاتنسيني من الفنَّات
وقالت لي اليخنة: فَوّريني قبل ما تطبخيني
حتى تروح ريحتي شوي لأني أنا والزهرة أخوات بالحي
وأجت الفاصوليا الخضرا قالت لي: أنا مني أنواع يابسة وبيض الحمام وعيشة خانم
وكلاوي

المهم: والصراحة.
مَلّيت من الأكل أكل كتير لا بينعد ولا بينحصى
هلكت وكأني أكلت مية عصا
وبعد ما خلصت
ومدُّوا السفرة هالسخرة
وحطوا الصواني والجاطات والزبادي
وصحون الأكل والملاعق بالأيادي
كرَّمني القاضي
بخبطة قوية على راسي الفاضي
وأنا مفكرة أني مشهورة بسفرتي
أتاري كل هالشي شايفتو بمنامي يا حسرتي
ووقعت على الأرض
وانشقّ راسي بالعرض
وانعبطتْ عبط
إيه ريتني أضرب أنا وهالعيلة
كلها متل قفا الكيلة.

«١» عرض حلجي: معقب معاملات دون مكتب أو موظف في الطريق جانب مؤسسة معينة على طاولة من ماله الخاص
«٢» جبانة: مقبرة
«٣» مكيسة: مفركة حمام
«٤» بلاّنة: مغسّلة بالحمام
«٥» مأضي: تعبان كتير ومتأهرم
«٦» بابور: مثل الغاز الصغير يشتغل على الكاز
«٧» النملية: مكتبة لحواضر الطعام لها منخل لتهوية الطعام
«٨» الحفوف: الحواف والجوانب

٣١ المنتوف

كان يا ما كان
من قديم الزمان
كان في رجَّال متعيِّش على باب الله
يعني سريح بيلِّي فيه النصيب ورزقو على الله
بينادولو بالحارة المنتوف
مشرَّط التياب ومشقَّق الكعاب
يعني حظُّو كلو هباب بهباب
وهو من بيت دك الباب من القيمرية
وكان يسرح بالبسطة من الصبحية لعشية
واسمو ديبو ولقبو المنتوف
وكان بيتمنَّى يعمل عيلة
ويرجع على بيتو ويكون عندو مرا ولو كانت من بيت جميلة
المهم ترضى فيه على عيبو
لأنو معلومكم على طول فاضي جيبو
ويوم بيبيع غزلة
ويوم بيسرح بفول بحلة
ويوم بيسلق درة وبيبيعها بالمفرق أو بالجملة
ويوم بيبيع زعبوب بالسلة
المهم عايش رضيان
وآخر الليل بينام شبعان
وكان مرة ماشي بالمجتهد بحارة الجورة
فلمح صبيَّة مستورة
وتعلَّق قلبو فيها
وما كانت تروح من بالو هالصورة
وصار يلحقها ويطلِّع فيها
بس لا يناغشها ولا يحركشها
وكأنو حارس عم يحرسها
وكان يحلم أنها ترضى فيه
ويتجوزها وتسكن بالعشة إلي مآويتو
لأنو كان عندو عشة صغيرة على كتف بستان

وكانت هي غرفة من قش يقعد فيها لا يهش ولا ينش
وفيها تخت تنك
وكانون حطب وحئ«١» فيه مي مزنخة متل مية السمك
وكرسيين قش وحصيرة ما فيها رمق
وملحوش لحاف عالتخت
منتّف وباين منو القطن يعني منكوت نكت
ويوم من الأيام
متل العادة ع التمام
شاف هالآدمي هالصبية المستورة
فقالّ لها: تتجوزيني يا أمورة
وصارت تدلّل عليه
وما ترد أبداً عليه
وبعد حين ومين
انصاعت لطلبو
لأنو شريف كان هدفو
ورضيت فيه وبطلبو بعد ما قال لها ووصف لها وضعو
على أمل تتحسَّنْ عيشتو
لأنو كان فاقد حيلتو
وهي كانت أضرب منو مقطوعة يا حسرتي من شجرة
وعايشة عند جيران هالمعترة
وكانت بتشتغل صوف لأهل الحارة
بسنارتين وأحيانا بسنارة
ورح يصير عمرها فوق الأربعين
ويفتر نصيبها حتى من ابن الستين
وكان اسمها سعدية ملحفة
وساكنة عند جيران من بيت برغشة
بيساعدوها وبيحنُّوا عليها
وكانت آدمية وعينها مستحية
وسمعتها طيبة
بس كانت على حالها حزينة

الخلاصة: وبلا كتر حكي
صار النصيب بعون الله
وتجوزتْ هالمعتر وحسَّنْ هالعشة
وصارت الأوضة من طين ولبن بدل ما كانت من القشة
وعاش هوّ ومرتو مبسوطين
لأنها لاطية ولا بتسق ولا بتنق وكانوا بعيشتهم راضيين
بس ما كانت تحبل وما تجيب الولد
لأنها كبيرة متل ما بتعرفوا وكانت بلا سند
وانقهرت على حالها. لأنها مقطوعة من شجرة ولا عندها لا ولد ولا تلد
مع أنو كانت حاسّة أنو رح يجيها السعد
بجوازتها لدييو دك الباب وهيِّ عم تحمد ربها حمد
المهم:
بعد صبر وقلة حيلة
وقلة ودلة
حبلت هالمعترة وصار بطنها منفوخ متل الجرة أو السلة
وولدت وجابت ببطن واحد توم صبيين متل فلقة القمر
وصارت تسهر عليهم سهر
لتربِّيهم ويكونوا سند لأبوهم
بس وين يا حسرة ! بهالعشة الخربانة
ولاَّ مع هالأم والأب إلي حياتهم دبلانة
المهم دبروا راسهم بالطول والعرض
بركي رب العالمين يبسطلهم الرزق بسط
وصار عمر الولدين أربع سنين
وهالأوضة ماعادت تسعهم
ولاَّ هالعيشة تريِّحهم
وكل ما كبروا ما رح يصير في شي يرضيهم
وصار يفكر هالأب يدوِّر على مأوى
ويحسِّن هالشغل
المهم يكون معو شقفة بيت ولو باع العرق سوس بالسطل
وبعد طول صبر

لقى هالديبو الشغل
ضمَّان لبستان سليم الفحل
فقرَّر على الفور يضب عتالو
هوّ وحرمتو وياخد معو عيالو
ويروح ليستلم البيت والشغل
وأملو بالله تتحسن هالعيشة
مع مرتو هالمستورة الدرويشة
وكان بدهم ليصلوا لبستان الفحل
لازم يقطعوا النهر بالعرض للضفة التانية
ولازم يستأجر هالأب شي شختورة
ليزقّ عليها الغراض وعيالو ومرتو للمعمورة
المهم بقا سيدي
استأجر الأب شختورة مهرهرة
يعني بتوَفّي بالغرض لو كانت محفورة ومنؤورة
المهم بتوصّلهم للضفة التانية
هنّ وولادهم بستر وسلامة
فركبوا وحطوا غراضهم
وطلّعوا قبلهم ولادهم
والأم حطّت بحضنها ولد وكمشت بإيدها مجداف
والأب حط بحجرو ولد وكمش بإيدو مجداف
وصاروا يجدّفوا بها المي
ويدعوا لربهم يا ستار يا حي
وهنّ مبسوطين وعم يغنوا، وهيك لوصلوا لنص النهر
وكان النهر غميء
وانحدارو قوي كتير مو بطيء
وقت صاروا بنص المي. اصطدم القارب بحجر كبير
وانكسر القارب وانقسم بالنص يا مجير
وانجرف نص القارب إلي فيه الأب لجهة الغرب
وانجرف نص القارب إلي فيه الأم لجهة الشرق
وبقي طبعاً ولد مع الأم وولد مع الأب

وكل واحد عم يندبّ ع المي دَبْ
وصاروا يتخابطوا بأمواج النهر وانحدارو
وجن جنونهم وصاروا يعيطوا وينادوا لبعض
وهالغراض تفرطعت كلها بالنهر بالعرض
وراحت بالمي
وكل واحد كان معانق ابنو وعم يدعي بالخلاص لربو
هيك لحتى وصل الأب وابنو على ضفة الغرب
ووصلت الأم وابنها على ضفة الشرق
وبعد ما ارتاح كل واحد منهم
وهدي انحدار المي بالنهر
وقال الأب لنفسو: رح أترك الولد على الضفة
وروح اطمئن ع الحرمة
واقعد على الخشبة
يعني اقعد على نص هالشختورة المكسورة
وبنفس الوقت قالت الحرمة
رح اترك الولد على الضفة
واركب الخشبة
وروح أطمئن على جوزي وابني شو صار فيهم
قبل ماشي بلية تصيبهم وتبليهم
ومشيت بالمي شوي شوي
عم تجدّف بإيديها
لتصل لعند جوزها وحبيبها
وهو ماشي بالمي كمان
لوصلوا لنص النهر
وتقابلوا بعد هالقهر
وفرحوا ببعضهم كتير وحمدوا ربهم أنهم التقوا
بعد ما انكسر فيهم القارب وتفرقوا
واتفقوا أنو الأب يرجع يحمل الولد ويلحق الأم
للضفة إلي هيِّ فيها
والأم.

ترجع على الضفة لعند ابنها وأغراضها تلمّ
وهمٌ عمّ يتّفقوا بالشختورة المكسورة
جرفتهم المي جرفة قوية
للحفة تبع الشلال بدون حنية
ووقعوا بالمي وانجرفوا بالشلال وتكسروا
وغرقوا وماتوا
وكانت النهاية حزينة
بس موهَيّ هيِّه الأفلة الصحيحة والنهاية الصريحة
إلي بدوياها رب العباد
لهالحرمة ولأبو الولاد
المهم.
وقت ماتت الأم والأب
وقابلوا رب كريم
فسألوا ربهم: ليش موَّتْهم هالموتة وفرِّق الولاد كل واحد بضفّة
فقال لهم ربهم: موتة الغرق، موتة الشهداء
لأنكم من الصابرين
وهذا قدركم وصل لعندكم
أما الولاد فقدرهم ومصيرهم مكتوب
ولد ملَّكو الغرب
ولد ملَّكو الشرق
ويكونوا ملوك
بحسنة أبويهم المعترين الصابرين
وهذا كان حسن الختام
وحسن المصير
فالإنسان مالازم يستعجب من حكم الله فيه
لأنو الله أدرى
بمصائر وقدر الناس وشوكاتب عليهم
وقل لا يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.

«١» حنّ: جرة ماء.

الفهرس

الإهداء ٣

المقدمة ٥

الراوي ٩

٧-١ بياع الصابون ١١

٧-٢ بياع الدهنة ١٥

٧-٣ رمضان ١٩

٧-٤ هَبْلة الشخاخة ٢٣

٧-٥ المعزاية ٢٧
٧-٦ طبخة السجقات ٣١
٧-٧ طبخة السبانخ ٣٥

---

٨ العباية ٣٩
٩ حكاية خطبة ٤٥
١٠ حكاية اللحاف ٥١
١١ كيد النسوان ٥٩
١٢ حكاية اللعبة ٦٣
١٣ حكاية الموعد ٦٩
١٤ صحا ليموت ٧٥
١٥ حكاية الجاكيت ٨١
١٦ الحلال والحرام ٨٧
١٧ الحماية والكنة ٩١
١٨ السمكة ١٠١
١٩ الرسالة ١٠٧
٢٠ درية وفهمية ١١٥
٢١ العين بالعين ١٢٣
٢٢ الكبت ١٢٩

٢٣ الشحاد ١٣٥
٢٤ الجرَّة ١٤١
٢٥ الحرامي ١٤٧
٢٦ عربايةَ دوما ١٥٣
٢٧ قطاع الروس صفّاف الرفوف ١٦٣
٢٨ الطمع ضّر ما نفع ١٧١
٢٩ صحون السفرة ١٧٩
٣٠ طباخة شامية ١٨٥
٣١ المنتوف ١٩٣

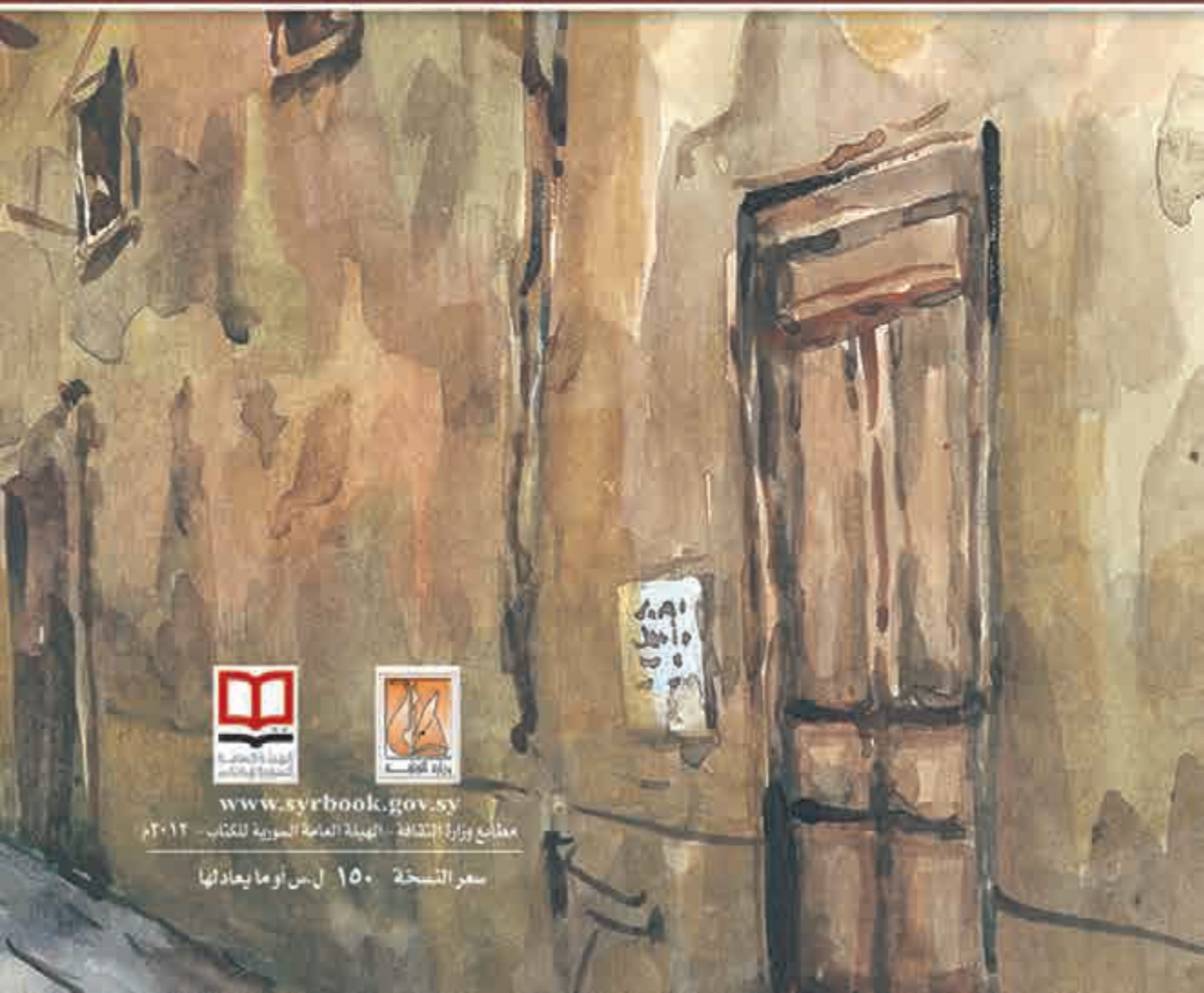

www.syrbook.gov.sy
مطابع وزارة الثقافة - الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٢م

سعر النسخة ١٥٠ ل.س أو ما يعادلها